

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف - المسيلة

ميدان: لغة وأدب عربي
فرع: أدب عربي
تخصص: أدب حديث



كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي
رقم: L15/195

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر أكاديمي
اعداد الطالب (ة): نعيمة حميدي
تحت عنوان

شخصية الإسلامي في رواية أميرة الجبل
لنجيب الكيلاني

لجنة المناقشة

رئيساً	جامعة محمد بوضياف - المسيلة	د. خليفة عوشاش
مشرفاً ومقرراً	جامعة محمد بوضياف - المسيلة	د. زكري بحوص
مناقشاً	جامعة محمد بوضياف - المسيلة	أ. بوديسة بولنوار

السنة الجامعية: 2017/2016



دعاء

اللهم اجعل بدايتي كفاح ونهايتي نجاح
اللهم لا تجعلنا نصاب بالغرور إذا نجحنا ولا باليأس إذ أخفقنا.
بل ذكرنا دائماً أن الإخفاق هو التجربة التي تسبق النجاح
يا رب ...

إذا أعطيتنا نجاحاً فلا تأخذ تواضعنا
وإذا تواضعنا فلا تأخذ اعتزازنا بكرامتنا
وإذا أسأنا يا رب للناس فامنحنا شجاعة الاعتذار
وإذا أساء إلينا الناس فامنحنا شجاعة العفو

مقدمة

الأدب الإسلامي في وقتنا الحاضر انطلاقة كبيرة في جميع أجناسه، من قصيدة وقصة ومسرحية وغيرها...، فينبثق عن نظرة الإسلام الشاملة للكون وعلاقته بالإنسان، وعلاقة الإنسان بكل ما حوله، وهي نظرة مختلفة تماماً عن كل ما عداها من نظرات وأفكار تملأ الساحة العربية، وقد حفلت البيئة الأدبية العربية بالكثير من الأبحاث والدراسات النظرية التي تنتظر للأدب الإسلامي وتحدد مساراته وتبين مميزاته، وهي أبحاث ودراسات لها قيمتها العالية التي لا غنى لنا عنها، ولكن قل في المقابل وجود دراسات تطبيقية للنتاج الأدبي الإسلامي، وهذا مصدر ضعف يجب تداركه لنستطيع الارتقاء بالأدب الإسلامي كما نحب وكما يجب، فمن الضروري أن تتماشى الدراسات النظرية مع الدراسات العملية بشكل متوازن وكما كانت الفجوة كبيرة بينهما كلما كان تأثير ذلك سلبياً على الأدب الإسلامي وتطوره.

هذا إلى جانب أن النقد للأعمال الأدبية الإسلامية إنما هو نقد بناء يقصد منه البناء والارتقاء نحو الأفضل والاستفادة من الخبرات ووجهات النظر المختلفة، وهذا من شأنه أن يفيدنا كقراء مستقبلين للأعمال الأدبية أو ككتاب منتجين لهذه الأعمال سواء بسواء.

ومن أهم الأمور التي ساعدتني في اختيار هذا الموضوع، بالإضافة إلى أهمية القصة والرواية كفن أدبي، ومدى تأثير الناس بها في تكوين شخصياتهم وآرائهم والشباب منهم خاصة، وهذا كله تأكده القصص التي حملت بها الآيات القرآنية في معظم سور القرآن الكريم، وتأثيرها الكبير في قارئها فكان التركيز عليها وإعطائها هذا الحيز الكبير من بحثي هذا.

إن الدكتور نجيب الكيلاني من أغزر الأدباء الإسلاميين إنتاجاً وفي المجال الرواية تحديداً، مع ذلك فهو كان من أكثر المعرضين للإهمال والإجحاف وذلك بسبب انتماءاته الفكرية الإسلامية التي تركت بصمات واضحة في أعماله الإبداعية، فرأيت من الواجب علينا أن نساهم في تقديم هذا الأديب الإسلامي وإبراز ما قام به من دور بناء، وما قدم من أعمال أدبية كان فيها الكثير من الفائدة الناشئة، المسلمة، مع عدم إغفالنا لبعض الهفوات التي قد يكون وقع فيها والتي لا يمكن أن يخلو منها عمل بشري، فالكمال ليس من صفات المخلوقين.

وهذا ما دفعني إلى البحث في الشخصية الدينية في رواية **أميرة الجبل**، وقد حاولت من خلال هذا البحث معالجة إشكال أساس تمثل في : كيف تجلّت هيكله الشخصيات في رواية **أميرة الجبل** لـ **نجيب الكيلاني**؟

وتفرع هذا الإشكال جملة من التساؤلات نذكر منها:

أ- ممّا استمد **نجيب كيلاني** ملامح شخصياته في الرواية؟

ب- ماهي أهم الأبعاد التي شغلته الشخصية في الرواية؟

ج- ماهي الدوافع والمحفزات لبناء هذه الشخصيات في العمل الروائي؟

د- كيف ظهرت الشخصيات عند **نجيب الكيلاني** وماهي مميزاتها وسماتها؟

هـ- كيف قدّم **نجيب الكيلاني** هذه الشخصيات؟

تكمن أهمية هذا البحث في أن الإنسان قيمة ثابتة، وهو المكلف في الأرض حاملا معه قيما متعددة متنازعة فيما بينها، يربو منها المحمود وتجاهل المنفور.

أما الأهداف المبتغاة من هذا البحث فهي أن نهتم بدراسة رواية **أميرة الجبل** لا سيما شخصياتها التي توحى بأبعاد جسمية وإنسانية ودينية واجتماعية، ولا بد من قراءتها قراءات متجددة لأن فيها معان باطنية تتجدد وفق المقرئية، والتي هي مطلب البشرية جمعاء، والمنظمة لحياة الفرد محددة تعاملاته مع أخيه الإنسان، فهو الأدب الذي غاص في جوهر الإنسان، وعمل بفضل كتابه على تقويم سلوكه والحد من رغباته الجارفة.

فالهدف المرجو من هذه الدراسة هو تقديم نظرة متواضعة عن الأدب الإسلامي أو للشخصية الإسلامية واستخراج القيم الممكنة ومبرزا الأبعاد الإنسانية المميزة لأعماله.

وإنّ من أسباب اختيار هذا الموضوع ما هو ذاتي وما هو موضوعي نلخصها فيما يأتي:

أ- إعجابي بالروائي **نجيب كيلاني** وأسلوبه، وكذلك بروايته **أميرة الجبل** التي جذبني عنوانها للوهلة الأولى مما زرع في نفسي رغبة في معرفة ما وراء هذه **الأميرة**.

ب- معرفة المكونات التي أراد **نجيب الكيلاني** أن يخرجها من خلال عمله هذا إلى الواقع، أي معرفة الانطلاق من الذات إلى الأخر، من الداخل إلى الخارج.

ج- معرفة أهمية الدور الذي تلعبه الرواية في المجتمعات وفي رقيها الفكري والأخلاقي.
واعتمدت المنهج الوصفي وآلية التحليل، فالوصف حين وصف الشخصيات أما التحليل فحين البحث في الأبعاد الدلالية للأشخاص في الرواية على حسب تنوع كل شخصية خيرة أو شريرة.

ولسبر أغوار هذا البحث والإجابة على تساؤلاته انطلقنا من خلفية علمية مدارها الدراسات السابقة. مذكرة دكتوراه **خنساء الجاجي**، د. نجيب الكيلاني دراسة وصفية تحليلية، قسم اللغة العربية بشار 2007.

وسار هذا البحث على خطة كانت على الآتي:

مدخل مفاهيمي: الأدب الإسلامي عند نجيب الكيلاني تطرقت فيه إلى تعريف الأدب الإسلامي والعلاقة بين الحاكم والمحكوم والمرأة وصلة الرحم والحضارة الإسلامية، والداعية الإسلامي وحتى أسماء الأدباء التي تأثر بهم **نجيب كيلاني**.

أما الفصل الأول: هو الفصل التطبيقي فتمثل في بناء الشخصية في الرواية، واندرجت تحته خمسة عناصر وهي: مفهوم الشخصية، وأبعادها، وطرائف عرضها، والشخصية بين القدماء والمحدثين، وكذلك تصنيف الشخصيات.

الفصل الثاني: فتمثل في الشخصية الدينية في رواية **أميرة الجبل** وقدّم إلى ثلاث عناصر وهي: أبعاد الشخصية في رواية **أميرة الجبل**، الشخصية الانسانية و النماذج البشرية، علاقة البيئة بالشخصية.

وذيّل البحث كان الحديث فيها عن أهم النتائج المتوصل إليها من خلال البحث، مقفاة بقائمة المصادر والمراجع وكذلك فهرس الموضوعات.

أما الصعوبات التي واجهتني في هذا البحث: قصر الوقت، وتداخل مفاهيم الأدب الاسلامي.

وختاماً إذا كان لا بد من الشكر فهو لأستاذي الكريم **زكري بحوص** فكان نعم الانسان فله جزيل الشكر والامنتان وصادق العرفان وأشكره على تحمله مشاق متابعة هذا البحث عبر كل مراحلها، وعلى حرصه الشديد على أن ينال البحث أهدافه المرجوة، كما أشكره على

توجيهاته وملاحظاته التي كان لها الأثر الايجابي للبحث فأسأل الله أن يجازيه عني خير الجزاء.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى اللجنة المناقضة التي ستخصّص جزءاً من وقتها لتمحيص هذا البحث.

دون أن أنسى الذين كانوا معي طيلة انجاز هذا البحث.

وجزى الله كل من قدم لي يد العون من قريب وبعيد.

مدخل مفاهيمي: الأدب الإسلامي عند نجيب كيلاني

أولاً : الأدب الإسلامي

ثانياً : العلاقة بين الحاكم والمحكوم

ثالثاً : المرأة

رابعاً : صلة الرحم

خامساً : المشاكل الفردية أو الجماعية

سادساً : الحضارة الإسلامية

سابعاً : الداعية الإسلامي

أسماء من تأثر بهم الكيلاني من الأدباء

أولاً : الأدب الإسلامي :

الكيلائي يرى أن الأدب الإسلامي هو لسان حال الإسلام والمسلمين، ونظرته إلى الانسان والكون والمخلوقات والأحداث نظرة تابعة من المسلمات الدينية، وعقيدة التوحيد، والمفهوم الصحيح للعالم والآخرة، والرسالة التي تم توصيفها للمسلم وفق ضوابط معينة.¹

وأما ما يتعلق بإنتاجه الأدبي فإننا نرى أن هذا الفهم الدقيق لمصطلح الأدب الإسلامي قد التزم به في روايات عدة، ولكنه ولا شك حاد عنه قليلاً في بعضها الآخر، ومن الروايات التي نستطيع أن نوقفه على تسميتها روايات: رواية "عمالقة الشمال"، و"عذراء جاكرتا"، و"ليالي تركستان"، و"ملكة العنب"، و"دم لفتير صهيون"، و"رحلة إلى الله"، و"مواكب الأحرار".

ونجيب الكيلائي يهاجم "الماركسية"^{*} و"الوجودية"، و"الرأسمالية"^{*}، ويقارنها جميعاً بالإسلام، فيقول عن الماركسيين: "إن لهم تفسيرهم الخاص النابع من نظريتهم الكلية، فهم يرون أن الطبقة العاملة صاحبة المصلحة ورمز الغالبية، ومحط الاضطهاد، والاستغلال التاريخي، وهي صاحبة الحق الطبيعي في الحكم وتصريف الأمور، وتعتبر الماركسية الدين مخدراً أو وسيلة يستند إليها المنشغلون في السيطرة والخداع للجماهير"²

وهو يرى بذلك أن الماركسية والإسلام على طرفي نقيض، ثم يتساءل فيقول: "... فكيف يتشابه التعبير أو المفهوم بالنسبة للأدب أ الفن في مثل هاتين الحالتين؟"³

وهو يرد على الماركسية فيقول: "إن ارتباط مناهج الفكر والسلوك بالعقيدة الدينية أمر له أهميته القصوى، فالفرق شاسع بين انسان يعمل في هذه الدنيا وليس وراءه عمله إلا تحقيق الكسب والسعادة على وجه الأرض، والانسان آخر يدرك أن الجزء الحق في عالم آخر غير هذا العالم الذي يعيش"⁴

¹ - نظر: نجيب الكيلائي، رحلتي مع الأدب الإسلامي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1985، ص4.

^{*} الماركسية: مذهب فكري يقوم على الاحاد، وصراع الطبقات والعامل الاقتصادي، ومن شعائهم ماركس لينين وستالين.

^{*}الرأسمالية: نظام اقتصادي يقوم على تنمية الملكية الفردية والمحافظة عليها.

² - نجيب الكيلائي، رحلتي مع الأدب الإسلامي، ص41.

³ - المرجع نفسه، ص 42.

⁴ - نجيب الكيلائي، أعداء الإسلام، ص76.

واماماً نتج من الأدب رأسمالي غربي أمريكي أو أوروبي فهو يراه ساخطاً رافضاً لكل القيم والمسلّمات القائمة، وينتفض كالمصروع يعرض ويرفس ويضرب بقبضاته في الهواء عشوائياً، ولا يعرف حلاً أو هدفاً لتمردّه وسخطه ورفضه، سوى التدمير والتحتيم⁵

وأما الوجودية: فالكيلاني يرى أنها "تفترض العربية الكاملة والمطلقة للإنسان، ولا قيد على هذه الحرية إلا المسؤولية، وهذا صحيح في عمومه، لكن مسؤولية الجوديين أمام من؟؟ إنهم لا يؤمنون بالله ولا بكتابه ولهذا فإن سقوط المسؤولية أمام الله في الفكر الوجودي تعلقها مسؤولية شخصية تافهة خاضعة لأهواء النفس وتقلباتها وقدرتها وخاضعة للسلطة القائمة.

لذا يرى الكيلاني أنه أمام هذا التخبط الفكري العالمي المعاصر، فإن الحاجة تبدو ملحة إلى تصور أفضل واضح يملأ النفس بالثقة واليقين والاطمئنان، وتحقيق هذا الهدف لا يتم إلا في رحاب دين الله أو من خلال التصور الإسلامي للعالم والآخرة.

ثانياً: العلاقة بين الحاكم والمحكوم:

فهو يؤكد على عدة نقاط في هذا الأمر، وهي:

- الحاكم يأتي في ظل بيعة حرة، والعدالة لا تعرف صغيراً ولا كبيراً، طاعة الحاكم ثابتة ما طاع الله فإن عصاه فلا طاعة له في رقبة أحد، ففي روايته "الرايات السوداء" يقول على لسان "الشيخ عبد الله" أنه يرى أن الدين والشرع لا يرضيان أن يصل الخلفاء إلى أريكة الحكم بالقوة والقهر والوعيد، ومن الممكن فهمه أكثر بتقريره للوضع القائم وقتئذ في العهد العباسي، بقوله: إن البيعة تؤخذ أخذاً⁶
- عدم جواز انفراد طبقة الحكم، وذلك أيضاً أوضحه في روايته "الرايات السوداء" فهو ينكر على بني أمية وبني العباس كليهما انفرادهما بالخلافة، واستمرارهما في القضاء على كل من ينكر حقهما المزعوم بالخلافة.
- عدم جواز تمايز فئة بسبب صلتها بالحكم عن بقية الناس.⁷

⁵ - نجيب الجيلاني، رحلتي مع الأدب الإسلامي، ص 43.

⁶ - يُنظر: الرايات السوداء، ص 69.

⁷ - نجيب الكيلاني، رحلتي مع الأدب الإسلامي، ص 44.

ثالثاً: المرأة:

ليست المرأة محطاً للمتعة المجردة أو الوقتية، وليست كالرجل تماماً فيما يناط بها من أعمال وواجبات... لقد كرمها الله بحقوق فردية وتقدير وفضل كان في تاريخ البشرية أمراً لا شبيه له في جميع الحضارات.

والكيلاني يحمن على بعض الأدباء المعاصرين الذين يقعون في أخطاء جسيمة تسيء إلى نظرة الإسلام للمرأة، مثل تناول البعض لموضوع تعدد الزوجات، فيمنعون في تصوير الخلافات بين الزوجات، وموقف الزوج الجشع الحيواني بحيث يشمئز القارئ من هذا الأمر برمته، ويتخذ موقفاً رافضاً لهذا الحكم الشرعي الذي أباحه الله لحكم عديدة، أو إضفاء صورة الذليلة على المرأة في بيتها، السلبية التي لا رأي لها، منتاسبا دور المرأة الواقعي والمؤثر في مجتمعاتنا العربية، إضافة إلى تشويه معاني الحب والعواطف الإنسانية، فيقول الكيلاني: "ليست نساء العصر على نمط نساء الثلاثية"⁸ التي كتبها "نجيب محفوظ" أو "أنا حرة" لـ "إحسان عبد القدوس"⁹. وفي المقابل يشير الكيلاني إلى تعدد العشيقات في المجتمعات الغربية، والإباحية المطلقة التي أوصلت المرأة إلى أن لا تعدو أن تكون مجرد دمية جميلة يتمتع بها الرجل ثم يرميها بعد أن يمل منها.

ولقد استطعنا أن نرى صورة جميلة مستشرقة للمرأة المسلمة في "ملكة العنب" و "رحلة إلى الله"، و"عمالقة الشمال"، وهذه الأخيرة قد تكون أكثرها وضوحاً وذلك يتجلى في رفض "عثمان" بطل الرواية "جاماكا" حتى بعد أن جاءت إلى بيته¹⁰ وذلك كله نابع من التزاماته.

أما في رواية "رأس الشيطان" فقد حاد الكيلاني قليلاً عن الصواب في تناوله لاستدراج "صفاء" بطلة الرواية لبعض الجنود الانجليز باستخدامها لزينتها،¹¹ وقد كان العذر في ذلك هو الوطنية والدفاع عن البلد وهذا العذر مرفوض، لأن هذا الأمر لا يجيزه الدين الإسلامي

⁸ - ثلاثية نجيب محفوظ: سلسلة أدبية مكونة من ثلاث روايات الأولى بين القمرين، والثانية: قصر الشوق، والثالثة: السكرية، وقد تناول فيها نجيب محفوظ موضوعات مختلفة لشخصيات واحدة تعالج موضوعات واحداً هو تطور البرجوازية المصرية الصغيرة، من أن كل رواية مستقلة عن الأخرى.

⁹ يُنظر: التونجي، المعجم المفصل في الأدب، ج1، ص 302.

¹⁰ يُنظر: نجيب الكيلاني، عمالقة الشمال مطبعة حارة الجمل، المنقرعة ميدان السيدة زينب، القاهرة، ط2، 2005، ص18.

¹¹ - انظر: نجيب الكيلاني، رأس الشيطان، مؤسسة الرسالة، (ب، ط)، 2001، ص 212.

بحال من الأحوال إضافة إلى استتكاف الرجل بشكل عام - والمسلم بشكل خاص - بطبعه عن أن يرضى بذلك لإحدى أقاربه مهما كان الهدف نبيلًا"، فنبيل الهدف لا يعطي ضوء أخضر لدناءة الوسيلة، ولابد في نهاية القول هنا أن نذكر بأن رواية "رأس الشيطان" من نتاج المرحلة الثانية من مسيرة الكيلاني الأدبية وقد تناول هذا الموضوع بالنقد والاستتكار عدد من النقاد الإسلاميين مثل الدكتور عبد القادر القط¹² والدكتور محمد حسن بريغيش¹³، ولعله تجاوز ذلك في رواياته الإسلامية في مرحلة الثالثة، وذلك التجاوز يظهر في شخصية "ملكة العنب" فهي فتاة قوية، تاجرة، يحسب لها الرجال ألف حساب، ومع ذلك نراها لا تتخلى عن أدبها وحيائها، وكانت نموذجاً حياً قوياً من أول الرواية إلى آخرها للفتاة المسلمة التي حظيت بدور بقال إيجابي في مجتمعها.

رابعا : صلة الرحم:

إن هذه الصلة تعتبر ظاهرة تستحق العناية في أدب الكيلاني، والكيلاني بنفسه اعترف بذلك في قوله: "إن صورة الأب والأم في شعري ورواياتي ذات طبيعة خاصة، والعجيب أن أحد النقاد لفت نظري إلى ذلك، وأشار إلى أنني أضفي على صورتها قداسة من نوع مميز، مع أن هناك أمهات وآباء يتسمون بسمات مغايرة".¹⁴

وهو يعتقد أن الحفاظ على كيان الأسرة وربطها بالمحبة والتعاون والإيثار، إنما هو البداية الصحيحة للحفاظ على كيان المجتمع الكبير كله، وهو يقرر أن الفلسفات المبتدعة في الغرب استطاعت أن تعمق من مأساة الأسد المنهارة والدمار الذي حل بالبيت الغربي، وأن هذه الفلسفات تزيد من تفاقم هذه المشكلة ومن أثارها المحطمة.¹⁵

وقد ذكر الكيلاني قصة عمه الذي كان يحتاج للنقود فيعرض أرضه التي ورثها عن أبيه للبيع فيضطر والد نجيب الكيلاني لشرائها لقناعتته التي لا تتزحزح بأن الأرض شرفهم وكرامتهم، ولا يجوز التفريط بشبر منها ولو بيعا، فيضطر لشرائها من أخيه وتزداد الديون، ثقلا على كاهله.

¹² - نجيب الكيلاني، رحلتي مع الأدب الإسلامي، ص 52.

¹³ - محمد حسن بريغيش، دراسات في القصة الإسلامية المعاصرة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1994، ص 95.

¹⁴ - نجيب الكيلاني، لمحات من حياتي، ج3، ص 43.

¹⁵ - نجيب الكيلاني، رحلتي مع الأدب الإسلامي، ص 45.

وهو مع ذلك كله رؤوف بأخيه محب له، ناصح له، يعيش معه في بيته ولا يشعره بأي ضيق منه أو انزعاج، حتى يبيع الأرض كلها فينتقل للعيش في المدينة لبحث عن مصدر رزق جديد، وهذا الأمر قد ذكره الكيلاني في كتابه "لمحات من حياتي" ¹⁶، ثم قام باقتباسه في روايته "الطريق الطويل" ¹⁷

أما في "ملكة العنب" فإن هذا الترابط الذي زاد عن حده في منع الأسرة ملكة العنب من الزواج ممن اختارته لأنه ليس من العائلة، فقد أظهر الجانب السلبي في هذا الترابط وخاصة في القرية. ¹⁸

خامسا: المشاكل الفردية أو الجماعية:

هذه المشاكل أيا كان شكلها أو مداها فإن الكيلاني يرى أن "علاجها ينبع أساسا من قلب المؤمن وضميره، فالتشريع لا قيمة له مالم يجد من يحترمه ويلتزم به وينفذه، ولن يكون هناك من يفعل ذلك إلا إذا وجدت القناعة الشخصية والرضاء التام، والحب لمن وضع ذلك التشريع". ¹⁹

وأفضل مثال على ذلك ما أثبتته الكيلاني من خلال قصصه من أن قضية الأخذ بالتأثر ²⁰ في الريف لم تقض عليها القوانين ولا العقوبات مهما بلغت شدتها أو قسوتها، بينما استطاع الداعية المسلم أن يستأصلها تماما بتحريك الوازع أو الرادع الديني في نفوس هؤلاء الصعايدة الذين اشتهروا بالقسوة والجلافة.

سادسا: الحضارة الإسلامية:

أ- شعارها: التوحيد، لا إكراه في الدين، ففي رواية "عماقة الشمال" يقول على لسان عثمان الداعية إلى الإسلام في غابات نيجيريا: "عندما تخلص العبودية لله وحده تشعر بالتححرر الكامل" ويقول ردا على القس المسيحي: "من الشرق ظهر المسيح، وفي الجزيرة العربية ولد محمد، وفي مصر ولد موسى ... زادكم عندنا"، ويؤكد

¹⁶ - نجيب الكيلاني، لمحات من حياتي، ج1، ص 31.

¹⁷ - ينظر: الطريق الطويل، ص 88، وما بعدها.

¹⁸ - نجيب الكيلاني، ملكة العنب، ص 184، وما بعدها.

¹⁹ - نجيب الكيلاني، رحلتي مع الأدب الإسلامي، ص 45.

²⁰ - ينظر: التونجي، المعجم المفصل في الأدب، ج1، ص 297.

على مبدأ لا إكراه في الدين في رفض عثمان أن يكره رئيس القبيلة الذي أسلم الفئة المنتصرة على ترك دينها وإجبارها على اعتناق الإسلام.²¹

ب- أبرز معالمها: إن المسلمين تتكافؤ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم.

ج- مميزات: فهمت الحضارة الإسلامية قضية التطور والثبات فهما دقيقا سليما، واحترست العلم والعلماء في شتى فروع المعرفة الدينية والدنيوية، ولم تغفل جانب الفن.²²

سابعاً: الداعية الإسلامي:

يؤكد الكيلاني أن الدعوة بالكلمة يجب أن يواكبها الفعل، وأن على الداعية الإسلامي الناجح أن يتخذ وسائل العصر الحديثة مطية إلى أهدافه الشريفة، ويهتم بالوسائل التي يقبل على سماعها ومشاهدتها آلاف الملايين في شتى أنحاء الأرض، فإن فن العرض الحديث

-كما يقول- أمر لا مناص لنا من دراسته وفهمه من أجل الوصول إلى الجماهير العريضة واقناعها من خلال الحشد الهائل من الفلسفات والأفكار المنحرفة التي يعج بها عالمنا المعاصر.²³

ولعل صورة الداعية المسلم تبرز في شخصيتين اثنتين من رواياته، الأولى: " عثمان " في " عمالقة الشمال " الذي كان يدعو إلى الإسلام بالكلمة الحسنة ونجاحه في ذلك، ثم ثباته على مبادئه وتقبله لوضعه الجديد بعد سجنه، واعتباره أن ذلك وسيلة للتقرب من الله عز وجل وأنه فرصة لمراجعة الإنسان لنفسه والتفكير بهدوء واتزان.²⁴

²¹ - انظر، عمالقة الشمال، ص 65، 69، 73.

²² ينظر: أعداء الإسلام، ص 9-14.

²³ - ينظر: المصدر نفسه، ص 15 و 17.

²⁴ - عمالقة الشمال: ص 89.

والشخصية الثانية هي: د. " سالم " في " رحلة إلى الله"، فقد كان له دور أساس ومهم في توعية " نبيلة"، واستمراره في دعمها معنويا وماديا بعد ذلك عندما ساعدها في ترتيب أمور سفرها للخارج.²⁵

أسماء من تأثر بهم الكيلاني من الأدباء:

يقول الكيلاني: " تأثرت بالكثير من كتاب القصة، وعلى رأسهم الكاتب الروسي دستوفسكي²⁶ لأنني أعتقد " من الناحية الفنية أنه أعظم كاتب للرواية حتى الآن ... كما أعجبت أيضا بقصص تولستوي²⁷ ... ومسرحيات ساوتر برغم اعتراضه على كثير من فلسفته"، وأجد سعادة كبرى في قراءة توفيق الحكيم ... وطه حسين ... ونجيب محفوظ ... والذي لا شك فيه أن نجيب محفوظ يحتل مكانة كبرى بين كتاب الرواية في العالم، ولا أنكر تأثير أسلوب محمود تيمور في التزامي بالفصحى..."

ويقول الكيلاني: " محمد إقبال ... هو الشاعر الذي أحببته وأعجبت به أكثر من أي شاعر آخر حينما وقع في يدي ديوانه " ضرب الكلم" وأخذت أقرأ فيه وشعرت أنني عثرت على كنز ثمين ... كان اكتشافي لإقبال من أهم أحداث حياتي الأدبية ...
فقد انكببت على دواوينه فترة طويلة من الزمن ..."²⁸

²⁵ - نجيب الكيلاني، رحلة إلى الله، ص 213-237.

²⁶ - انظر: غريال، الموسوعة العربية الميسرة، ج1، ص 795، 796.

²⁷ - المصدر نفسه، ص 561.

²⁸ - نجيب الكيلاني، رحلتي مع الأدب الإسلامي، ص 226.

الفصل الأول

بناء الشخصية في الرواية

أولاً : مفهوم الشخصية.

1- لغة

2- اصطلاح

3- الشخصية عند علماء النفس

4- الشخصية عند علماء الاجتماع

ثانياً : أبعاد الشخصية.

1- البعد الجسمي

2- البعد الاجتماعي

3- البعد النفسي

ثالثاً : طرائق عرض الشخصيات.

1- الطريقة المباشرة

2- الطريقة غير المباشرة

رابعاً : الشخصية بين القدماء والمحدثين.

خامساً : تصنيف الشخصيات.

تمهيد:

يفترض النصّ الروائي وجود عناصر أساسية مكونة لنسيجه الحكائي وهي الشخصية، الزمان، المكان، الحدث، هذه العناصر تشكل وحدة متضافرة فيما بينها، إذ لا يمكن للأحداث أن تسير دون وجود شخصيات تؤطرها زماناً ومكاناً كما أنّ الأحداث هي بدورها من تعطي الشخصيات الرّوائية الحيوية والحركية فتنبثّ فيها الحياة.

"وينفرد موضوع الشخصية الحكائية، بأهميّة خاصة في البحث السردي عن البنى السردية في القصّة والرّواية والمسرحية والحكاية، ويكتسب هذه الأهمية من كونه أحد مكونات العمل الحكائي وأهمّها، فهي العنصر الحيوي الذي ينهض بالأفعال التي تترايط وتتكامل في الحكّي، فكانت الشخصية محطّ عناية الأرسين قديماً وحديثاً، عدا "أرسطو" الذي يرى التراجمي ليست محاكات للأشخاص بل للأعمال والحياة، واستعادت الشخصية أهميّتها على يد الكلاسيكيين الجدد في عصر النهضة وصار فيما بعد ينظر إلى العمل الدرامي والرّوائي في مدى قدرته على خلق الشخصيات"²⁹.

حيث تقوم الشخصية بدور رئيس ومهم في تجسيد فكرة الرّوائي إذ من خلال الشخصيات المتحركة ضمن خطوط الرّواية الفنيّة، ومن خلال تلك العلاقات الحيّة التي تربط كلّ شخصية بالأخرى، إنّما يستطيع الكاتب مسك زمام عمله وتصوير الحدث من نقطة البداية حتى لحظات التّوير في العمل الروائي، وهذا لا يأتي بطبيعة الحال من غير نقطة البداية وبصورة مدققة وسليمة في رسم كلّ شخصية، وتبيين أبعادها وجزئياتها، سواء أكانت علاقات التّكوين الخارجيّة والتّصرفات والأحداث الصادرة عنها"³⁰.

ويمثّل مفهوم الشخصية عنصراً محورياً في كلّ سرد، بحيث "لا يمكن تصور رواية بدون شخصيات، من ثمة كان التشخيص هو محور التجربة الرّوائية"³¹.

إذ لا نكاد نعثر على نصّ سردي يفتقر إلى شخصيات تدير أحداثه وتدير الأحداث حولها سواء في السرد القديم أو الحديث فهي "تقليد متوارث"³².

²⁹ - ناهضة ستار، بنية السرد في القصص الصوفية (المكونات، والوظائف، والتقنيات)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003، ص185.

³⁰ نصر الدين محمد، الشّخصيّة في العمل الرّوائي، مجلة الفيصل، العدد37، دار الفيصل الثقافيّة للطباعة العربيّة، السعودية، ماي، جوان

1980، ص20.

³¹ محمد بوعزة، تحليل النصّ السردّي، (تقنيات ومفاهيم)، ص20.

قلت أهمية الشخصية لدى النقاد في الدراسات الحديثة، اى تبقى عنصراً متوارثاً بين الروائيين عبر العصور نظراً لأهميتها ضمن العمل الروائي في سيرورة الأحداث، بل إن بعض النقاد يذهب الى أن الرواية في عرفهم فن الشخصية³³.

أي أن العمل الروائي يقوم أساساً على بنية الشخصية (لشخص الروائية)، لا على الشخصية ذاتها، وإنما فيما تقوم به من تحريك وتفعيل داخل لعبة السرد الروائي عموماً، ولهذا لا بد من انتقاء الشخصية، حسب توجهات الرواية سواء أكانت دينياً أم سياسياً..، فالشخصية هي قوام الرواية، فلا رواية بلا شخصية.

فعبقرية الروائي مرهونة بمدى انتقائه وتفنه في رسم شخصياته، كما يقول "الآن روب جرييه" الذي هو الحقيقي هو الذي يخلق الشخصيات³⁴. وكأن "روب جرييه" جعل من الشخصية مقياساً يعتمد عليه لمعرفة ما كان الروائي الحقيقي أو غير ذلك.

فأول ما على الروائي فعله هو اختيار شخصيات القصة ثم يدرج بعد ذلك الأحداث التي انطوت عليها هذه القصة ومكانها وزمانها هذين الأخيرين للزمان والمكان - دون الشخصية العاقلة المدركة يفقد كل منهما معناه وقيمتها، فعلى الرغم من وجودهما مستقلين عن الانسان لكنهما يبقيان بلا قيمة خارج الوعي الإنساني المدرك لها.

ويحبذ في الشخصية القصصية أن تكون معبرة عن صدرة من صور الحياة البشرية، وأن تتعد قدر المستطاع عن النماذج الأسطورية التي تقوم بأعمال خارقة لأن عنصر الإقناع يضفي على لشخصية القصصية هيبة، ودوراً متقدماً³⁵.

المبحث الأول: مفهوم الشخصية:

1-1-1-1- لغة:

لمعرفة مفهوم الشخصية لا بد من البحث عن أصل الكلمة في أمهات المعاجم ففي معجم العين يقال: تَلَاخَصَ سَوَادُ الْإِنْسَانِ إِذَا رَأَيْتَهُ مَزْعُوداً، كُلُّ شَيْءٍ رَأَيْتَ جِثْمَانَهُ فَقَدْ رَأَيْتَهُ

³² جميلة قيسمون، الشخصية في القصة، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 13، جوان 2000، ص 195.

³³ محمطي سلامة، الشخصية في القصة، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 13، جوان 2000، ص 195.

³⁴ - الآن روب جرييه، رواية جديدة، تر: مصطفى ابراهيم مصطفى، دار المعارف بمصر، القاهرة، (ب) ط 1990، ص 35.

³⁵ - شريط أحمد شريط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، دار القصة للنشر، (ب) ط (ب، ت) الجزائر، ص 44.

شَدَّ صَدَهُ وجمعه: والشُّخُوص والأشخاص. الشُّخُلُوص: من بلد إلى بلد، وقد شَدَّ صَ يَشُدُّ صً شُدَّ وَشُدَّ هَلْدُ تَوْشُلُنْصَلَّ الجُرُوحُ رِيَوْشُدَّ صً ببصره إلى السَّمَاءِ ارتفع. وشخصت الكلمة في الفم إذا لم يقدر على ذَفْضِ صوته بها³⁶.

ويقال شَخِصٌ وامرأة شَخِصِيَّةٌ، أي جسمية³⁷.

وجاء في معجم الوسيط أنَّ الشَّخْصِيَّةَ صُفَاتٌ تَمَيِّزُ الشَّخْصَ عَن غَيْرِهِ، وَيُقَالُ: فُلَانٌ شَخْصِيَّةٌ قَوِيَّةٌ ذُو صِفَاتٍ مَتَمَيِّزَةٍ وَارِدَةٌ وَكَيَانٌ مُسْتَقِلٌّ³⁸.

عَدُّ الْحَقِّ فَإِذَا قِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى إِنَّهُ يَخْتَصِمُ لَكُمْ أَهْلَ الْأَنْبِيَاءِ (الأنبياء: 97) مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾.

ومعنى شاخصة في قوله تعالى أي واضحة لا لبس فيها ولا غموض، متجهة في صوب لا سَدَ نَةً فيه ولا تلميح.

1-1-2 اصطلاحاً :

تعددت تعريفات الشَّخْصِيَّةِ سواء من الناحية النظرية أو التطبيقية باعتبارها العمود الفقري للعمل الرِّوائي والمحرِّك الأساسي للعمل الفني، وليس سهلاً وخاصة أمام الانفجار الذِّنْطري، الحديث عن الشَّخْصِيَّةِ وتداخلها مع مصطلحات حديثة عالية في الدِّقَّة.

لقد ضلَّ هذا المفهوم، إلى زمن قريب مرتبطاً بتعريفات علم الاجتماع وعلم النفس أو امتداد لسِّعْرِيَّةِ "أرسطو" أن يشهد انزلاقات متباينة يصعب القبض عليها أو حصرها³⁹.

ويذهب البعض إلى تعريفها بأنها: الكائن البشري مجسِّدٌ بمعايير مختلفة، أو أنها الشَّخْصُ المتخيل الذي يقوم بالدور في تطور الحدث القصصي⁴⁰، فمفهوم الشخصية هنا يقتصر على الكائن البشري لا غيره، أي لا يعم ليشمل الحيوان والظواهر وغيرها بل ينحصر

³⁶ - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كاتب العين، تح: عبد الحميد هندي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج2، ط1، 2003، ص314.

³⁷ - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج2، ص214.

³⁸ - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004، ص475.

³⁹ - نيلة زيوش، تحليل الخطاب السردي في ضوء المنهج السينمائي (دراسة تطبيقية لقصة الطوفان في جلامش)، دار الريحانة للكتاب، الجزائر، ص133.

⁴⁰ - جميلة فيسمون الشَّخْصِيَّةِ في القصة، ص68.

في إطار البشرية، التي ترى أن الشّخصية تشمل كل ما يؤدي فعلاً أو يمارس تأثيراً، أو يتمتع بحضور قوي سواء كان إنساناً أو حيواناً أو ظاهرة طبيعية كزلازل أو بركان... إلخ، المهمّ أنه يدير الحدث.

ولعل المعنى الشّدائع في تعريف الشّخصية أنّها مجمل السمّات والملح التي تشكل طبيعة شخص أو كائن حي... وهي تشير إلى الصفات الخلقية والمعايير والمبادئ الأخلاقية، في الأدب معان أخرى وعلى الأخص ماتعلق بشخص تمثله قصّة أو رواية أو مسرحية، وهناك من يرى أن الشّخصية كائن بشري لحم ود، وتعيش في مكان وزمان معين، ويرى آخرون بأنها هيكل أجوف ووعاء مفرغ يكتسبه مدلوله في البناء القصصي، فهو الذي يمدّه بهويته. في حين يرى "محمد غنيمي" أن الأشخاص في القصة مدار المعاني الإنسانية، ومحور الأفكار في القصة منذ انصرفت إلى دراسة الإنسان وقضاياها، إذ لا يسوق القاص أفكاره وقضاياها العامّة منفصلة عن محيطها، بل ممثلة في أشخاص⁴¹ داخل هذا المحيط الإنساني.

قال الشّخصية كائن له سمات إنسانية ومنخرطة في أفعال إنسانية "ممثل" actor له صفات إنسانية⁴²، سلبية أو إيجابية أو هي "فكرة من الأفكار الحوارية، التي تدخل في تعارض دائم، مع الشّخصيات الرّئيسة أو الثانوية أو الشّخصية تمثيلية الحالة، أو وضعية ما⁴³". فالشّخصية غير ثابتة، فهي متعارضة متضادة أحياناً مع شّخصيات وأحياناً متوافقة مع أخرى وحالتها الشّعورية كذلك متغيرة فمرة هادئة وأخرى مضطربة.

والشّخصية في الأدب قد تكون من الأفراد الخياليين أو الواقعيين الذين تدور حولهم أحداث القصة أو المسرحية، كشخصية "ليلي الأخيلية" في رواية (مجنون ليلي) لأمير الشعراء "أحمد شوقي" فلا يهمّ إن كانت للشّخصية إنسان كما نراه في الواقع المدني، أو شخصية خيالية من صنع خيال الأديب المهمّ أنها "كل مشارك في أحداث الحكاية سلباً أو إيجاباً، أما من لا يشارك في الأحداث فلا ينتمي إلى الشّخصيات، بل يكون جزءاً من الوصف، فالشّخصية عنصر مصنوع، مخترع، ككل عناصر الحكاية، فهي تتكون من

⁴¹ صبيحة عود زعب، غسان كنفاني (جمالية السرد في الخطاب الروائي)، دار لاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2006، ص117.

⁴² - جيرالد برنس، ترالس يد إمام، ميرمية للنشر والمعلومات، القاهرة، ط1، ص30.

⁴³ - سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (عرض وتقديم وترجمة)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1985، ص126.

مجموع الكلام الذي يصفها، ويصور أفعالها، وينقل أفكارها وأقوالها. وليست الشخصية شخصاً، ولا وجود لها خارج عالم الرّواية⁴⁴.

فالشخصية حمّالة أوجه في العمل الرّوائي بين الواقع والخيال، "بل ذات بناء واقعي مركب، تملك مصداقيتها في مشابقتها للبشر الحقيقيين في أشكالهم، وأوصافهم، وأقوالهم وأفعالهم"⁴⁵.

وهذا يعني أنّ الرّوائي يأخذ شخصيَّاته من الواقع ولكن تختلف بطريقة أو بأخرى عن الأشخاص الحقيقيين، فحين يخلق هذه الشخصيات يستعين بتجاربه التي عاشها أو عاناها أو لاحظها، ممّا يضيف عليها المصدقية، لكن تبقى مجرد صورة تخيلية وكائن ورقي تعكس واقع اجتماعي أو سياسي أو اقتصادي للتأثير في الملتقي.

وهذا ما سمّاه "ارسطو" صدق الواقعي وهو الّا تشدّ الشخصية عن أنماط الحياة الطبيعية، بحيث تتشابه معها وتتبع منها، حتى تمتلك خاصية الصدق الواقعي، وبالتالي قدرة على الإقناع بوجودها الطبيعي غير المفعل، فالذّواق التي تحرّك الأشخاص والبشر العاديّين في الحياة اليومية، هي نفسها التي تشكل سلوك الشخصيات في العمل الأدبي⁴⁶.

إلا أنّ مفهوم الشخصية يبقى موقع جدل منذ ظهوره لأول مرة "على يد الشاعر والأديب الإغريقي ثيوفراستوس"، المتوفي عام 287 ق.م، الذي استفاد بتقنيات "ارسطو" الذّقدية حول مفهوم الشخصية في الشعر والأدب، فألف كتاباً بعنوان (الشخصيات)، كان بمثابة صورة لشخصيات مسلية ومثيرة، ويقال أنّه ألف الكتاب خصيصاً للتسلية وتعليم طلبة علوم البلاغة، وبذلك خرجت من كونها عنصراً ضمن عناصر سدّة مكونة للتراجيديا إلى مجال الأعمال الأدبية التي تكتب لها خصيصاً⁴⁷.

بعد أن تطرقنا الى مفاهيم الشخصية وبأنها أحد عناصر السرد في الرّواية، يمكن التساؤل عن الاستعمال الصدّحي هل نقول شخصيات أو أشخاص؟ أو شخوص؟

⁴⁴ لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرّواية، دار النهار للنشر، بيروت، ط1، 2002، ص227.

⁴⁵ جهاد عطا نعيمة، في مشكلات السرد الرّوائي قراءة في عدد من النصوص والتجارب الّوائية العربية، والعربية السورية المعاصرة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص24.

⁴⁶ - نبيل راغب، موسوعة الابداع الأدبي، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، ط1، 1996، ص225.

⁴⁷ - المرجع نفسه، ص 227.

لقد حدثت النقاد بما فيه الكفاية عن الشخصيّة، لكن للأسف يبدو أنّهم لم ينتهوا إلى تحديد مفهوم واضح لها، ممّا أدى بهم إلى الخلط بين مفهومي الشخصّ *personne* والشخصيّة الحكائيّة *personnage* "ولذلك تراهم يقولون: الأشخاص طورا والشخصيات طورا آخر، كأن أحدهما مرادف للآخر"⁴⁸.

لذلك سنحاول وضع الفرق بينهما قصد إزالة الإبهام في تعريف كلّ منهما.

الشخصّ: "المراد به الإنسان الفرد كما هو في الواقع"⁴⁹، فلاشخص موجودون بحكم الحياة الفعلية.

أمّا الإنسان الحي الذي يعيش ويفكر، ويحسّ، فهو موجود بالفعل لا من صنع الخيال الأدبي.

أمّا الشخصيات: فهي نتاج اللّغة، ولا وجود لها خارج الكلمات الدّالة عليها في النص، ولكن القراء ينظرون إليها أحيانا كأدّها شخص حي موجود خارج الحكاية"⁵⁰.

فإذا قلنا أنّها نتاج اللّغة فلأنّ اللّغة هي التي تصنع الشخصيّة وهذه اللّغة نابعة من الخيال الإبداعي للمؤلف أو الرّوائي.

ففي "الروايات التاريخية تتشابه صفات الشخصيّة الرّوائية وصفات الشخصيّة التاريخيّة، ولكنهما يبقيان شخصيّتين منفصلتين، فلا شيء يمنع الرّوائي من أن ينسب إلى شخصيات روايته أقوالا وأفعالا وميولا ومشاعر لم يذكرها لها التاريخ"⁵¹.

ويمكن القول إنّ الشخصيّة لم تكن محط اهتمام الميدان الأدبي فقط، بل كانت موضوع يكاد ينقذ إلى كل ميدان من ميادين العلوم الإنسانيّة، وتمثل المحور الذي تدور حوله دراسات وبحوث كثيرة من هذه العلوم كعلم النّفس وعلم الاجتماع.

⁴⁸ - عبد المالك، تحليل الخطاب السردي، لمعالجة تفكيكية سيميائية مرمية لرواية زقاق المدق، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون، الجزائر، ص125.

⁴⁹ - سمر روجي الفيصل، بناء الرواية العربية السوربية (1980 . 1990)، دراسة نقدية، منشورات اتحاد الكتاب العلاب 1995، ص72.

⁵⁰ - لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، ص114.

⁵¹ - المرجع نفسه، ص 114.

1-1-3- الشخصية عند علماء النفس:

يعرّف علماء النفس الشخصية بأنها: "تنظيم داخلي للسّمات والاتجاهات والاستعدادات السلوكية"⁵²، ففي هذا المنظور تتخذ الشخصية "جوهرًا سيكولوجيًا، وتصير فرداً، شخصاً أي بباطة كائناً إنسانياً"⁵³، فإذا قلنا كائناً إنسانياً يعني هذا أنّها تمتلك صفات جسمية ووجدانية عقلية وخلقية، ممّا يجعلها أكثر تركيزاً وتعقيداً من خلال التفاعل بين هذه الصفات.

1-1-4- الشخصية عند علماء الاجتماع:

يرى علماء الاجتماع الشخصية من زاوية مختلفة إذ تتحول الشخصية في منظورهم إلى نمط اجتماعي يعبر عن واقع طبقي ويعكس وعياً فكرياً فهي: "الإنسان الفرد كما هو موجود في الواقع، أي ذلك الإنسان الحي الذي يعمل ويعيش ويفكر، بمعنى آخر أنه لإنسان حي من لحم ودم يجسد الصدّورة الواقعية لحقيقة الإنسان كما هو في الحياة"⁵⁴.

فتصبح الشخصية صنعة من صنائع المجتمع الذي يعيش فيه، حيث هي تمثيل لعاداته وتقاليده ومثله واعتباراته وبذلك فهي صورة عاكسة للمجتمع.

المبحث الثاني: أبعاد الشخصية:

حتى يستطيع القاص أن يجعل شخصياته الحكائية شخصيات حية ذات ملامح فنية خاصة، ويكون حريصاً على أن يعرضها واضحة مراعي فيها النفس البشرية باختلافاتها الذلّقية (الخير والشر) والذلّقية (الجمال الدمامة) وغيرها من الاختلافات بحسب ما تقتضيه مواقف القصة، كما يقول "عبد الملك مرتاض": "إنّه لا يمكن للشخصية أن توجه في أذهننا، على أنّها كوكب منعزل، إنّها مرتبطة بمنظومة، وبواسطتها هي وحدها، تعيش فينا بكل أبعادها"⁵⁵، وهذه الأبعاد تظهر زمن القراءة وهي:

⁵² - محمد صابر عبيد، سوسن البياني، جماليات التشكيل الروائي (دراسة في ملحمة الرّواية مدارات الشرق)، دار الحوار، سورية، ط1، 2008،

ص171.

⁵³ - محمد بوعزة، تحليل النص السردى (تقنيات ومفاهيم)، (ب، ط)، (ب، ت)، ص39.

⁵⁴ - محمد صابر عبيد، سوسن البياني، جماليات التشكيل الروائي (دراسة في ملحمة الرّواية مدارات الشرق)، ص171.

⁵⁵ - عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص78، 79.

1-2-1- البعد الجسمي (الخارجي):

يهتم القاص في هذا البعد برسم شخصيته، "بما يتعلق بالمظاهر الخارجية للشخصية"⁵⁶، أي في شكل الإنسان وصفات جسمه من طول وقصر، وعمر وبدانة، ونحافة، وذكر أو أنثى، وعيوب، وحسن، ووسامة كما يصف لون الشعر والبشرة وملامح الوجه كاستدارته أو استطالته وبروز الأنف أو صغره وما ذلك من أوصاف، يقول "عبد المالك مرتاض" فكأن النص استحال إلى ريشة ترسم وتدقق في الرسم فلا تغادر لونا، ولا قامة، ولا وزنا، ولا صوتا، ولا عينين، ولا يدين، ولا شعر، ولا فم، ولا أسنانا، إلا رسمها بشيء كبير من التفصيل.⁵⁷

فتشبيه "عبد المالك مرتاض" بالرّيشة، يدل أن الكاتب يحل محل الرّسام في تصويلا ملامح شخصياته، "ذلك لأنه من الضروري للشخصية أن تكون فريدة، وأن ترتفع إلى درجة الذمّية في وقت واحد، ومن الضروري أن تتميز بصفات خاصة حتى تظلّ منفردة، ولا يمكن إحلال شيء آخر محلها، وأن تتمتع في نفس الوقت بالعمومية حتى تصبح كونية"⁵⁸.

وتصوير المظهر الخارجي غالبا ما يكون في البداية ظهور الشخصية في العمل القصصي.

1-2-2- البعد الاجتماعي:

وهو انتماء الشخصية الى البيئة الاجتماعية، وهو خارجي نعني به البحث فيما "يتعلق بمعلومات حول وضع الشخصية الاجتماعية وايدولوجيتها، وعلاقتها الاجتماعية (المهنة، طبقاتها الاجتماعية: عامل/ طبقة متوسطة/ بورجوازي/ قطاعي، وضعها الاجتماعي: فقير/ غني، ايدولوجيتها: (رأس مالي/أطولي،سلطة...)"⁵⁹.

⁵⁶ محمد بوعزة، تحليل النص السردّي (تقنيات ومفاهيم)، ص 40.

¹ عبد المالك مرتاض، في نظرية الرّواية، ص

² عبد المالك مرتاض، في نظرية الرّواية، ص 147.

³ - ألان روب جريبه، نحو رواية جديدة، ص 35.

⁴ - محمد بوعزة، تحليل النص السردّي (تقنيات ومفاهيم)، ص 40

ومن خلال هذا البعد ينعكس انتماء الشّخصية إلى اجتماعية معينة وظروفها التي منكن أن يكون لها أثر في حياة هذه الشخصية بل كادت تكون الشّخصية صورة للواقع المعيش. "إذ يمكن عزية أي نقص، وإظهار أي عيب يعيشه أفراد المجتمع، حين يقرأ الناس تلك الشّخصية في رواية من الرّوايات العظيمة يقتنعون. بأنّ تلك الشّخصية تمثلهم على نحو ما"⁶⁰.

ولهذا نجد في الرّوايات التّقليدية التي أعطت لعنصر الشّخصية أهمية أكبر من بين عناصر الرّواية، تركز الامتياز لشخصياتها فتجعل منها كل شيء على طريقة أسلوب النموذج.

1-2-3- البعد النفسي (الداخلي):

"من المفروض ان يكون محصلة البعدين السابقين"⁶¹، أي لبعد الاجتماعي والجسمي، فهو الجانب الداخلي، المتعلق بكيونة الشّخص الداخلية حيث يهتم القاص في هذا البعد، بتصوير الشّخصية من حيث مشاعرها وعواطفها وسلوكها، وطباعها ومواقفها من القضايا المحيطة بها"⁶².

يفسّر الرّوائي الجانب المظلم في الشّخصية في خلال هذا البعد الذي يشمل السلوك، الرغبات، الأفكار، المشاعر، الانفعالات، العواطف وآمال وعزيمة، وغاية الشّخصية بالنسبة لهدفها ويشمل أيضا مزاج الشّخصية من أفعال وأهواء وانطواء وغيرها.

المبحث الثالث: طرائق عرض الشّخصيات:

قبل التطرق إلى تقديم الشّخصيات علينا أولاً أن نشير إلى معناها ونعني بها خلق الشّخصيات الرّوائية وبناء وجودها في العمل الروائي، وقد عرف "مجدي وهبة" عملية الخلق هذه بأنها: "متهج يقدم به المؤلف شخصية ما في القصّة أو المسرحية"⁶³.

⁶¹ - حسين عبيدة، القصة القصيرة عند ثروة أباطة وقضايا المجتمع، ص 09.

⁶² - شريط أحمد شريط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، ص 49.

⁶³ محمد صابر عبيد، سوسن البياتي، جمالية التّشكيل الرّوائي دراسة في ملحمة الرّواية (مدارات الشرق)، ص 178.

ويختلف الرّوائيون في طرق تقديم شخصياتهم القصصية إلى القارئ، فهناك من يقدمها بصورة واضحة، وبأدق التفاصيل الصغيرة والكبيرة فتكون واضحة لدى القارئ، وهناك من يتركها غامضة نوعاً ما فاسح المجال للقارئ في فهمها، ويعزي هذا لاختلاف إلى سببين تعدّ هملالتّ قنّيات السّردية التي يلجأ إليها الرّوائيون إلى توظيفها في البناء الرّوائي، والسبب الآخر، اختلاف المرجعيات الثقافية للرّوائي وأبين أنفسهم⁶⁴.

وعادة يتم تقديم الشخصية بطريقتين:

1-3-1- الطريقة المباشرة (التقريرية):

والقصة منها عدم الغموض في إبراز الشخصية وهي عندما يتحدث الروائي "عن طبائع الشخصيات وأوصافها أو يوكل إلى شخصيات تخيلية أخرى أو حتى عن طريق الوصف الذاتي الذي يقدّمه البطل عن نفسه (Auto description) كما في الاعترافات، وي طرح الشكل الأخير الذي في نفس الوقت معرفة الذات بنفس البرودة التي نرى بها الآخر، ومن هنا مشكلة النظر في الذات وتقديمها إلى القارئ⁶⁵.

ونستخلص أن هذه الطريقة تعتمد بدورها على طريقتين:

الأولى: "أن يقوم نفسه بتقديم الشخصية: فعالها وأوصافها مستخدماً ضمير الغائب.

الثانية: أن يتيح للشخصية فرصة تقديم من خلال ضمير المتكلم، مع بقاء التقرير في ذكر أفعالها، وأوصافها، فلا يشعر القارئ بخصوصياتها أو تفردتها، أو تفاعلها بمحيطها، ولا يستخلص لها قضية، أو وجهة في الحياة، فتبدو الشخصيات باهتة من جهة، ومتشابهة من جهة أخرى، وبعيدة عن الإقناع الفنّي في المحصلة النهائية⁶⁶، ولا عناء القارئ في هذا النوع من استكشاف أحوال الشخصية.

"ولكن هذا الأسلوب لا يكلف القارئ مزيداً من الجهد في التكف عن الشخصية، فهي تقمّ جاهزة، وهي على الرّغم من ذلك، تبقى بعيدة عن القارئ، ولا تشكل بينهما أيّة علاقة

⁶⁴ - عدنان علي الشريم، الأدب في الرواية العربية المعاصرة، عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، ط1، 2008، ص 187.

⁶⁵ - حسين بحراوي، بنة الشكل الروائي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2009، ص223.

⁶⁶ - عدنان علي الشريم، الأدب في الرواية العربية المعاصرة، ص188.

تقاربية، لأنها غير مقنعة، وتفتقد إلى عنصر المفاجأة والإدهاش⁶⁷ لأن الرّ اوي يعرف ما ستأتي به الأحداث.

1-3-2- الطريقة غير المباشرة (لتصويرية):

وهي على عكس الطريقة المباشرة فهي لا تكلف المؤلف شيئاً فهو يترك للقارئ أمر استخلاص النتائج والتعليق على الخصائص المرتبطة بالشخصية، وذلك سواء من خلال الأحداث التي تشارك فيها أو عبر الطريقة التي تنتظر بها تلك الشخصية إلى الآخرين، وفي هذه الحالة الأخيرة يكون علينا أن نتخلص صفات ومميزات الشخصية من خلال الأفعال والتصرفات التي تقوم بها، وتسعفنا في هذا الصدد، تلك العبارات أو الفقرات التي يقدم فيها المؤلف شخصية وهي تقوم بعمل ما بحيث تختزل صورتها ومزاجها وطبائعها⁶⁸.

ومن خلال هذين الطريقتين نستطيع نذ القراء معرفة الشخصيات القصصية معرفة واضحة مظهراً وباطناً مما يسهل علينا تتبع تحولاتها من البداية إلى النهاية وإدراك نوع هذه الشخصية وتصنيفها.

ومن هنا، فإنّ معرفة الأسلوب الذي يقدم به الرّ وائي الشخصية، ليس ذا أهمية كبيرة، ما لم نحدد الفائدة التي يجتنيها الرّ وائي جراء استخدامها، فالرّ اوي ليس دائماً بحاجة إلى إتقان فن الوصف (المظهري والنفسي) لكي يجعل شخصياته واقعية وذات دلالة وتعيش في وعي القارئ. إنّ المهم هو أن يعرف الكاتب كيف يقيم علاقات منطقية متلاحمة بين وجود الشخصية (المظهري والباطني) وبين السياق الاجتماعي والإيديولوجي الذي يندرج فيه ذلك الوجود، فالسمات المظهرية أو الذّفسية للشخصية سواء كانت دقيقة أو إجمالية تكون دائماً متضامنة مع رؤيا العالم التي تميز لحظة من لحظات المجتمع⁶⁹.

"أما فيليب هامون فقد اقترح مقياسين يفيدان في تقديم الشخصية أمام المشاكل التي تطرحها طرق التقديم في الرّ واية، هذه الطريقة قد تساعد القارئ أو الباحث في معرفة الشخصيات عل؟ أكمل وجه ومعرفة تصنيفاتها.

⁶⁷ - المرجع نفسه، ص 188.

⁶⁸ - حسين بحرأوي، بنية الشكل الروائي، ص 223، 224.

⁶⁹ هذنان علي الشريم، الأدب في الرّ واية العربية المعاصرة، ص 193.

وهذه المقاييس كما ذكرها "حسن بحراوي" هي:

- أ- المقياس الكمي: وينظر إلى كمية المعلومات المتوافرة المعطاة صراحة حول الخصية.
- ب- المقياس النوعي: أي مصدر تلك المعلومات حول الشخصية، هل تقدمها الشخصية عن نفسها مباشرة، أو بطريقة أخرى أو المؤلف، أو فيما إذا كان الأمر يتعلّق بمعلومات ضمنية يمكن أن نستخلصها من سلوك الشخصيّة وأفعالها⁷⁰ المتعددة والمتباينة.

المبحث الرابع: الشخصيّة بين القدماء والمحدثين:

تُعَدُّ الشخصيّة مصدر من مصادر التشويق والمتعة في الخطاب السردى، ولقد اكتسب أهمية كبرى بين العناصر الشكلية المختلفة، وأهميتها في الرّواية لا تقاس أو تحدد بالمساحة التي تحتلّها وإنما الدور الذي تقوم به، وما يرمز إليه هذا الدور، وأيضاً مدى الأثر الذي تتركه في ضمير القارئ، مما يدفعه للتساؤل تجاه هذا الموضوع الأساس الذي تثيره الرّواية، إذ نلمس اختلافاً واضحاً لأهمية الشخصيّة ودورها في البناء الرّوائي بين الرّوايات التّقليدية والرّوايات الحديثة.

كانت الشخصيّة لدى "أرسطو" الجزء التالي لعنصر الحكمة، ضمن الأجزاء الستة المكونة للتراجيديا، والتي تحدّد صيغتها الخاصة، وقيمتها النوعية كوحدة كلية، وهذه الأجزاء هي الحكمة، والشخصيّة، واللغة، والفكر، والمرئيات المسرحية، والغناء.

يرى "أرسطوأنّ الحكمة والشخصيّة وجهان لعملة واحد تمثل الرّكن الأساسي للتراجيديا، فلا حكمة بلا شخصيّة، ولا شخصيّة بلا حكمة"⁷¹.

"فأرسطويضع الشخصيّة في المرتبة الثانية بعد الأحداث، لأنّ الحدث في نظره هو الموضوع الدراما، أما الشخصيات فيختارها المؤلف طبقاً لهذه الأحداث حتى تناسبها، فالشخصيات ليست إلا ظلاً للأحداث.

وقد وضح أرسطوأنّ التراجيديا لا تحاكي الأشخاص، ولكنها تحاكي الأفعال، والحياة بما فيها من سعادة وشقاء"⁷².

⁷⁰ -حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 224.

⁷¹ - نبيل راغب، موسوعة الإبداع الأدبي، ص 222.

وهذا يدلّ على أنّ "أرسطو قدّ ل الحدث عن الشّخصيات، أي أنّ العبرة ليست لما يتصف به الإنسان من أخلاق وقيم بل بما يصدر عنه من أفعال، فتفقد الشّخصية قيمتها إذا تجرّدت من الأفعال وتضمنت الصفات فقط، "فأي شيء في هذه الدنيا لا يكسب وجوده في حد ذاته، وإنما من الغاية التي يؤدي إليها، فهي أهم ما فيه"⁷³.

وفي القرن 19 بدأت الشّخصية تحتل مكاناً الشّخصية تحتل مكاناً بارزاً في النّص الرّوائي لتصبح لها وجود مستقل عن الحدث، فاهتم بها النّقاد في هذه الفترة " ويربط "ألان روب غريبيّة هذا الاهتمام بصعود الفرد البرجوازي الى قمة السلطة وإشاعة قيمة الطبقة"⁷⁴. فبرزت الشّخصية بوصفها عنصراً رئيساً في العمل الرّوائي وتوظّف كل عناصر السرد الأخرى لإظهارها بقوة، حتى تعكس مميزات الطبقة الاجتماعية.

أصبحت الشّخصية في الرّواية التقليدية هي كل شيء فيها، بحيث لا يمكن أن نتصور رواية دون طغيان شخصية مثيرة يقحمها الرّوائي فيها، إذا لا يضطرم الصّراع العنيف إلا بوجود شخصية، أو شخصيات تتصارع فيما بينها، داخل العمل السردى. من أجل كل ذلك كنا نلقى كثيراً من الرّوائيين يركزون كل عبقرية تهم وذكائهم على رسم ملامح الشّخصية، والتهويل من شأنها، والسعي إلى إعطائها دوراً ذا شأن خطير تنهض به تحت المراقبة الصارمة للرّوائي التقليدي، الذي كان يعرف كل شيء سلفاً عن شخصياته، وعن أحداث وزمانها ومكانها"⁷⁵.

وتعامل الشّخصية في الرّواية التقليدية على أساس أنها كائن حي له وجود فيزيقي، فتوصف ملامحها، وقامتها وصوتها، وملابسها، وسنها، وأهوائها.. ذلك لأنّ الشّخصية كانت تلعب الدور الأكبر في أي عمل روائي"⁷⁶.

والمبالغة في محاكاة الشّخصيات للواقع الخارجي، جعل من الشّخصية نموذج نمطي يتّسم بالاتساق لأنّ المحاكاة تتطلب قدراً كبيراً من التتميط الذي يمكن القارئ من التعرف

⁷² - المرجع نفسه، ص 222.

⁷³ - المرجع نفسه، ص 223.

⁷⁴ - محمد عزام، تحليل الخطاب الأدبي، على ضوء المناهج النقدية الحديثة (دراسة في نقد النقد)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003، ص 194.

⁷⁵ - عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 76.

⁷⁶ - المرجع نفسه، ص 76.

فيها على النمط الإنساني السائد في ذلك الواقع، من العصامي حتى الانتهازي، ومن الوطن حتى الخائن"⁷⁷.

وهذه المبالغة في محكات الشخصيات للواقع الاجتماعي، جعل القدماء يقعون في دوامة الخلط بين الشخصية والشخص، وهذا ما ذكرناه سلفاً.

ومع بداية القرن أي 20 لرواية بدأت الرؤية إلى الشخصية تتغير، فحاول الروائيون والنقاد التقليل من سلطتها داخل العمل الروائي وأصبح مثلها مثل باقي العناصر الأخرى الوصف والسرد والحوار...

"يرجع الآن روبرت غريبي" هذا التراجع إلى تزعزع القيم الفردية البورجوازية في عصر لاحق، فانقل هذا الخلط إلى الشخصية الروائية التي كان التركيز عليها قوياً، فاخترت أو كادت مع الرواية الجديدة. فأصبح "فولكنريسم" شخصيتين مختلفتين في رواية واحدة باسم واحد، ويقتصر "كافكا" في رواية القصر على تعريف شخصيته بالحرف الأول من اسمها، ويغير "بكيث" اسم شخصية وشكل بطله في العمل الواحد. ويعلن "لوكاش" القطيعة بين البطل والعالم، فيطلق تسمية البطل الإشكالي على الشخصية التي تقوم بالبحث عن القيم الأصلية في العالم المنحط"⁷⁸.

ولعل هذا التغيير الذي مس الشخصية في الرواية الحديثة يعتبر قطيعة مع التقاليد، لجعل الشخصية تبدو أجمل وأعقل من الشخص الحقيقي، وذلك بتهديب ملامحها وتلميع وجهها.

"وبهذا يكون النقد البنيوي قد استبعدنا نظرة الشخصية كجوهر سيكولوجي كما استبعد الشخصية كلها تماماً، فقال رولان بارتان" الشخصيات كائنات من ورق، وركز نقده على فعلها وحده، كما كان "بروب" قد اختزل الشخصية إلى وظائفها التي تقوم بها"⁷⁹.

⁷⁷ صبري حافظ، متغيرات الواقع العربي، الرواية العربية. ممكناً السرد، أبحاث وتعليقات ومناقشات الندوة التي أقيمتها المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب ضمن فعاليات مهرجان القرين الثقافي الحادي عشر، الكويت، 204، ص 191.

⁷⁸ - محمد عزام، تحليل الخطاب الأدبي، على ضوء المناهج النقدية الحديثة (دراسة في نقد النقد)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003. ص 194.

⁷⁹ - المرجع نفسه، ص 194.

وقد شمل هذا الإهمال لعنصر الشّخصية كل الشّخصيات بما في ذلك الشّخصية البطلة إذ أصبحت الشّخصية الرّئيسية في النّص الرّوائي من أكثر الشرائح الهامشية على مستوى الواقع الاجتماعي وعلى مستوى الرّؤية على السواء، ولم يعد للنّص بطل بأي مفهوم من المفاهيم، وإنّما أصبحت به شبكة من العلاقات المعقدة التي تجعل لكل الشّخصيات القدر نفسه من الأهمية⁸⁰.

ونتيجة لرد فعل النقاد على المكانة التي تبوّأتها الشّخصية في النّص الرّوائي برزت آراء متضاربة للكتاب والارّسين، فمنهم من يجعلها إنساناً حياً من الواقع ومنهم من يشيد بها، ومنهم من ينكر لها تماماً، وهناك من يقف موقفاً وسطاً، فنجد مثلاً:

أ- فلاديمير بروب (VLADIMIR PROPP):

أهمل الشّخصية في حدّ ذاتها ولم يول بها أي اهتمام انطلاقاً من كونها عنصراً متغيراً لا يستقر على الحال، ومستقلاً بذاته، ومنفصلاً عن الفعل الذي يعتبر أساس العمل.

المنتج فيرى أنّ ما يتغير هو أسماء وأوصاف الشّخصيات، وما لا يتغير هو أفعالهم، أو على الأصح هو الوظائف التي يقومون بها، إذن فالثوابت التي تشكل العناصر الأساسية في الحكّي هي الوظائف التي يقوم بها الأبطال⁸¹.

فنستخلص أنّ "فلاديمير بروب" قد أهمل الشخصية واهتم بالأدوار التي تنسب إليها في القصة، ولم يولي الاهتمام بصاحب الدور أو الفعل كيف قام بهذا الفعل بل المهم هو ما قام به الشخصية وباقي الأسئلة في نظره هي مجرد توابع لا غير.

ب- رولان بارت (RBARTHES):

يرى "رولان بارت" أنّ الشّخصية عنصراً أساسياً في البناء الروائي، واعتبرها مشاركاً في العملية السردية.

⁸⁰ - صبري حافظ، متغيرات الواقع العربي، متغيرات الواقع العربي، الرواية العربية...، موكلات السرد، ابحاث وتعقيبات ومناقشات الندوة التي أقامها المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب ضمن فعاليات مهرجان القرين الثقافي، الكويت، 2004، ص192.

⁸¹ - حميد لحدان، بنية النّص السردية من المنظور النقدي الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991، ص24.

"الخطاب في رأي "رولان بارت" ينتج الشخصيات فيتخذ له ظهيرا ، فليس ذلك من أجل أن يجعلها تلعب فيما بينها، أمانا ولكن من أجل أن تلعب معنا.

فكأن شيئاً من التضافر (Complicité) الحميم بين الخطاب والشخصيات التي تظهر عبره فكأن الشخصيات هي عيّنات من الخطاب وكأنّ الخطاب نفسه يغتدي عبر هذه العلاقات المعقدة، مجرد شخصية من الشخصيات الأخرى"⁸²

ج- عبد المالك مرتاض:

هو الآخر الذي اعطى جملة من الآراء التي تدعو إلى ضرورة الحد من سلطة الشخصية في كتابه في نظرية الرّواية) فيقول في هذا الشأن محددا موقفه انطلاقاً من مواقف وأراء النقاد العالميين المحدثين حول أهمية الشخصية في العمل الرّوائي: "إنّ لا نرتاب في أنّ ما ذهب إليه الحداثيون من النقاد العالميين وجيه إلى أبعد الحدود، ولكننا، نريد أن نسجّل موقفاً بإزاء موقفهم، ولا علنا أن يكون دائر في فلکهم، أو مضطرباً في غير مضطربهم، وهو أنّ الشخصية ورقيتها في العمل السردى تمثل أهمية قصوى في هذا الجنس الأدبى... فالشخصية هي الشّيء الذي ستمز به الأعمال السردية عن أجناس الأدب الأخرى أساساً. فلو ذهب الشخصية من أي قصة قصيرة لصنفت، ربما في جنس المقالة"⁸³.

ونستخلص من قول "عبد المالك مرتاض" أنه يدعو إلى تقليل من أهمية الشخصية التي أعداها القدماء كل العمل السري بعامة والعمل الروائي بخاصة، لكنه في الوقت نفسه يرفض النظرة المجحفة للشخصية التي أهملت الشخصية إلى أبعد الحدود، وهذا غير صائب لأنّ الشخصية تبقى أهم عنصر يميز العمل السردى عن غيره من الأجناس الأدبية الأخرى.

د- غريماس (A.J.GREMAS):

قدّم "غريماس" فهما جديدا للشخصية في الحكى، وهو ما يمكن تسميته بالشخصية المجردة، وهي قريبة من مدلول الشخصية المعنوية، في عالم الاقتصاد، فليس من الضروري أن تكون الشخصية هي شخص واحد، ذلك أن العامل في تصور "غريماس" يمكن أن يكون

⁸² - عبد المالك مؤنل، في نظرية الرّواية، ص 81.

⁸³ عبد المالك مرتاض، في نظرية الرّواية، ص 90.

ممثلاً بممثلين متعدّدين، كما أنه ليس من الضّروري أن يكون العامل شخصاً ممثلاً، فقد يكون مجرد فكرة كفكرة الدّهر، أو التّاريخ، وقد يكون جماداً أو حيواناً... الخ.

وقد حدّد «ريمانس» مفهوم الشخصية من خلال التمييز بين مستويين:

- مستوى عامليّ أخذ فيه الشّخصية مفهوم شمولياً مجرداً بالأدوار المنجزة لها.
- مستوى ممثليّ: (نسبة إلى الممثل) نتخذ فيه الشخصية صورة فرد يقوم بدوره ما في الحكي فهو شخص فاعل، يشارك مع غيره في تحديد دور عاملي واحد، أو عدّة دوائر عامليّة⁸⁴.

المبحث الخامس: تصنيف الشّخصية:

الشّخصية قوام العمل الرّوائي، لها أنواعها وتصنيفاتها المتعدّدة، ولا نجد هنا مجالاً للحديث عن أنواع الشّخصيات ومستوياتها وعلاقاتها المتداخلة وطرائق تصويرها داخلياً وخارجياً⁸⁵.

إذ يعدّ تصنيف الشّخصية الرّوائية لا بد منها لأيّ باحث، وذلك لمعرفة مرتبتها ووظائفها التي تميزها عن غيرها من الشّخصيات، إذ تحوي الرّواية على أنواع متعدّدة من الشّخصيات، يمكن التّمييز بينها من خلال الأدوار التي يعطيها إياها الرّوائي فتظهر شخصيات مثلاً ذات أدوار متعدّدة تسيطر على العمل الرّوائي، وتقابلها شخصيات ذات أدوار ضئيلة. وما تجدر الإشارة إليه هو أن الدّارس في أمس الحاجة إلى معرفة تصنيفات التي اتّكأ عليها الكثير من الدّارسين لأنّ الشّخصية ماهي إلا نتاج متخيل يبدعه المبدع.

ومنه يمكن الوقوف على أهمّ التصنيفات التي أنارت الطريق أمام الباحثين لدراسة الشّخصية بغية تحديد وظائفها وكيفية انشغالها في النّص السردية ولعلّ أهمّ هذه التّصنيفات:

⁸⁴ حميد لحميدان، بنية النّص السّردية من منظور النّقد الأدبي، ص 51، 52.

⁸⁵ سليمان حسين، الطّريق إلى النّص مقالات في الرّواية العربيّة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1997، ص 99.

في القصّة والرّواية عدة أنواع من الشخصيات تختلف أدوارها بحسب ما أراده القاص، ويمكن تصنيفها استناداً إلى تحول أو ثبات الشخصية في مواقفها وسلوكها على ما هي عليه من أوّل الرّواية إلى آخرها، وتتقسم الشخصية على هذا الأساس إلى شخصيات مدوّرة، وشخصيات مسطّحة. أو تصنيفها بالنظر إلى دور الشخصيات ومشاركتها في الأحداث أو حجم المساحة التي تحتلها في الأهمية بين الشخصيات في بناء القصة، وعلى هذا الأساس تنقسم الشخصية إلى شخصيات رئيسية وشخصيات ثانوية.

1-5-1- الشخصية المدوّرة (نّامية):

تعدّدت التسميات التي تطلق على هذه النّوع من الشخصيات فنجد "فورستر" يطلق عليها اسم الشخصية المدوّرة وهي التي تجسّد كل أنواع التّنوع التّعقيد في الطبيعة الإنسانيّة، لذلك يعتبرها الشخصيات المناسبة لتمثيل البعد المأساوي، في مقابل ما يسمّى به بالشخصيات المسطّحة flat التي تعكس فكرة ثابتة لمؤلفها، وتتميز هذه الشخصيات بكتابة سيكولوجية، وتمثّل في أغلب الأحيان حالة درامية مركبة معقّدة⁸⁶.

يرى "فورستر" أنها الشخصيات التي تتناسب لتمثيل البعد المأساوي لأطول أمد ممكن كما أن بمقدورها أن تقودنا صوب أي نمط من مشاعر المدح والتواؤم.

وحدّد "فورستر" المعيار الذي بواسطته نحكم بأن شخصية ما مدوّرة... يمكن في موقف هذه الشخصية فأما إن فاجأتنا مقنعة إيانا فهي مدوّرة، وأما إن لم تفاجأنا فهي⁸⁷ مسطّحة، ولكن "عبد المالك مرتاض" رفض هذا المعيار التّصنيفي في قوله: "ونحن لم نر أغمض من هذا التّمييز بين هذين النّوعين للشخصية الرّوائية ذلك أن "فورستر" لم يستطيع لإعطائنا أي قاعدة صارمة بواسطتها نستطيع التّمييز بين صنفين مختلفين من الشخصية"⁸⁸. وذلك لكونها معايير تفتقد إلى الصّرامة العلميّة التي يجب أن يحدّد بها المصطلح، "فقد لاحظ "تودوروفلن" هذا التّعريف لا ينبغي أن يعني شيئاً ذا بال، وهو تعريف يمكن أن يسري على القارئ العادي، أما القارئ المحترف فإنّه لا يسمح لمثل هذه الشخصية بأن تفاجئه بسهولة⁸⁹.

⁸⁶ - محمد بوعزة، تحليل النصّ السّردّي، ص 57.

⁸⁷ عبد المالك مرتاض، في نظرية الرّواية، ص 88.

⁸⁸ - المرجع نفسه، ص 88.

⁸⁹ عبد المالك مرتاض، في نظرية الرّواية، ص 88.

ويمكن القول أن الشخصيّة المدوّرة هي تلك المركبة المعقدة التي لا تستقر على حال، ولا تصطلي لها نار، ولا يستطيع المتلقي أن يعرف مسبقاً ماذا سيؤول إليه أمرها لأنّها متغيرة الأحوال، ومتبدّلة الأطوار، فهي في كل موقف على شأن⁹⁰.

ويطلق عليها "شربيط أحمد شربيط" اسم الشخصيات الذّامية فيقول: "هي الشخصيّة التي تتطوّر من موقف بحسب تطور الأحداث، ولا يكتمل تكوينها حتى تكتمل القصّة، بحيث تكتشف ملامحها شيئاً فشيئاً خلال الرّواية أو السرد، أو الوصف، وتتطور تدريجياً خلال القصّة وتأثير الأحداث أو الظروف الاجتماعيّة"⁹¹.

إذن فالشخصيّة المدوّرة تبنى خطوة خطوة وتتكشف بالتدرج والتفاعل مع الأحداث وتتطوّر بتطوّر رها، لأنّها مأخوذة من الواقع، وهذا لم يجعلها تتغيّر ولذلك فهي شخصيّة معقدة بكل دلالاتها التي توحى بها لفظ المعقدة، والتي تكره وتحب وتعمل الخير والشر وتؤثر وتتأثر.

1-5-2 الشخصيّة المسطحة (البسيطة):

هي الذّوع الثابت من الشخصيات تبقى على حالها من بداية القصّة إلى نهايتها فلا تتطوّر، حيث تولد مكتملة على الورق لا تغيّر الأحداث طبائعها، أو ملامحها، ولا تزيد ولا تنقص من مكوناتها الشخصيّة، وهي تقام عادة حول فكرة، أو صفة كالشجع وحب المال التي تبلغ حدّ البخل أو الأنانية المفرطة"⁹².

ولعلّ أهم ميزة لهذا النوع من الشخصيّة هي أنّها يسيرة، نتعرف لغيرها ببساطة لأنّها ذات بعد واحد تسهل معرفتها منذ البداية ولا تتطلب من القارئ جهد في تتبع تغيّر طباعها وصفاتها لأنّها جاهزة، ولهذا سمّيت بالبسيطة، وهذا ما جعلها تفتقد لعنصر المفاجأة والتغيير.

⁹⁰ - المرجع نفسه، ص 88،89.

⁹¹ شربيط محمد شربيط، تطور البنية الفنيّة في القصّة الجزائريّة المعاصرة، ص46.

⁹² - شربيط محمد شربيط، تطور البنية الفنيّة، ص46.

وعلى عكس الشخصية المدوّرة تُفتقر إلى الكثافة السيكولوجية ولتّعقد الذي يميّز الطبيعة الإنسانية، ولأذّها ذات بعد أحادي ثابت غير متغير⁹³.

ويرى "نبيل راغب" خاصية الذّبات المميّزة لهذا النوع من الشخصيات "خاصية معارضة للصدّق الفنّي، وقدرة الرّوائي على إقناع قرائه، وكثيراً ما دمغها الذّقاد بالقصور والضعف، نلّأها الشخصيات ينبغي أن تتشابه بقدر الإمكان مع الحياة الفعلية، وينبغي ألا نرى منها جانباً واحداً فقط بل عليها أن تستدير وتدور مظهرة لنا كل جوانبها وزواياها بدلا من ذلك الجانب أو السّطح الذي يتغير"⁹⁴.

وهناك من يرى أن هذا النوع من الشخصيات لا يستطيع أن يؤثر ولا أن يتأثر، حيث يصفها "عبد المالك مرتاض" بأنها شخصية سلبية يعرفها اسمها، ويحددها مصطلحها، فهي تلك التي لا تستطيع أن تؤثر كما لا تستطيع أن تتأثر⁹⁵.

ولهذا نجد الذّقاد الحلين للأدب يفضلون الشخصيات ذات الأبعاد والجوانب المتعددة، لكن ذلك ليس بقاعدة عامة كما يرى "مولّان" الجيل التالي رداً ما فضل الشخصيات المسطّحة التي لا يمكن الاستغناء عنها في وجود الشخصيات ذات الأبعاد بل إن "موير" يؤكد على أن الشخصية المسطّحة هي وحدها القادرة على تلبية أغراض كتاب الرواية الشخصية، فهي الأداة الوحيدة اللّزمة للتعبير عن نوع واحد من رؤية الحياة من زاوية محدّدة، وإنّما العبرة تتمثل في الوظيفة الدرامية التي تقوم بها هذه الشخصية أو تلك⁹⁶.

ويبقى كلا النوعين مكملّ فلا يمكن للشخصيات المدوّرة أن تلعب دورها أو ينشط تغيرها وتطورها إلاّ بتحفيز الشخصيات المسطّحة التي ما كان لها لتكوين هي أيضاً لولا الشخصيات المدوّرة.

1-5-3 الشخصيات الرّئيسية:

تحظى الشخصيات برعاية واهتمام كبير من طرف السارد مما يجعلها أكثر تميّزاً من غيرها، وقد يتوقّف عليها فهم التجربة المطروحة في الرّواية، فحتّى يفهم القارئ مضمون العمل

⁹³-محمد بوعزة، تحليل النّص السردّي، ص57.

⁹⁴- نبيل راغب، موسوعة الإبداع الأدبي، ص235.

⁹⁵عبد المالك مرتاض، في نظرية الرّواية، ص89.

⁹⁶- صبيحة عودة زعرب، غسان كنفانجاليات السرد في الخطاب الرّوائي، ص132.

الرّوائي والاطاحة بكل جوانبه علين أ يعتمد على الشّخصيات الرئيسية وذلك لارتباط الأحداث بها، فهي التي تقود الفعل وتدفعه إلى الأمام، وليس من الضروري أن تكون الشّخصية الرّئيسية بطل العمل دائماً، ولكنّها هي الشّخصية المحورية، وقد يكون هناك منافس أو خصم لهذا الشّخصية في شكل بطل معارض.

فهّي الشّخصية الفنية التي يصطفيها القاص لتمثيل ما أراده تصويره أو ما أراد التعبير عنه من أفكار أو أحاسيس، وتتمتع الشّخصية الفنّية المحكم بناؤها بالاستقلالية في الرّأي، وحرية في الحركة داخل مجال النّص القصصي.

وتكون هذه الشخصية قوية ذات فعالية كلما منحها القاص حرية، وجعلها تتحرك وتنمو وفق قدراتها وإرادتها، بينما يخفتي هو بعيدا يراقب صراعا وانتصارها أو إخفائها وسط المحيط الاجتماعي أو السياسي الذي رمى بما فيه.⁹⁷

ونظرا لهذا التعقيد الذي تتميز به الشخصيات الرئيسية فهي تجسّد تصوّرات وأفكار وأحاسيس الكاتب نفسه، حيث يعطيها حريمة تامّة في الرّأي والحركة للتعبير عن ما يكمن بداخله إلى القارئ، ولكون القضية أو التجربة المطروحة في الرواية ترتبط ارتباطا وثيقا بالشخصية الرئيسية فإن نجاح أو فشل الرواية يكون مرهونا بنجاح أو فشل هذه الشخصيات، فإذا كان قدرة على تقديم أفكار حية استطاعت أن تجذب أكبر عدد من القراء، وبذلك تكون الرواية رواية ناجحة، أما إذا كانت عاجزة عن تقديم القضايا الإنسانية بطريقة مقنعة وتشخيصية فشل العمل برمته.

ويحدد " هيكل " خصائص الشخصيات الرئيسية في ثلاث عناصر:

أ: مدى تعقيد التشخيص:

ويقصد به نمط الشخصيات المعقدة التي ترجع أفعالها وتصرفاتها إلى مجموعة متداخلة ومركبة من الدوافع والانفعالات المتناقضة، بما يجعلها عرضة لتغيرات حاسمة، ومعنى ذلك أن الشخصيات الرئيسية تمثل نماذج إنسانية معقدة وليست نماذج بسيطة، وهذا التعقيد هو الذي يمنحها القدرة على اجتذاب القارئ.

⁹⁷ - شريط أحمد شريط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، ص 45.

ب: مدى الاهتمام الذي تستأثر به بعض الشخصيات:

أي اهتمام السارد حين يخصها دون غيرها من الشخصيات الأخرى بقدر من التميز، حيث يمنحها حضورا طاغيا، وتحظى بمكانة متفوقة، هذا الاهتمام جعلها مركز اهتمام الشخصيات الأخرى وليس السارد فقط.

ج: مدى العمق الشخصي الذي يبدو أن إحدى الشخصيات تجسده:

ويقصد به غموض الشخصية بما يجعلها مثار اهتمام الشخصيات الأخرى، ذلك أن جميع الناس الذين يفهم الغموض أو تشكل حياتهم لغزا غامضا علينا يستثيرون شغفا.⁹⁸ فتزيد رغبتنا في معرفة هذه الشخصية لفق هذا الغموض، فيكون الاهتمام كله منصبا عليها.

1-5-4- الشخصيات الثانوية:

إذا قارنّا هذا النوع من الشخصيات بالشخصيات الرئيسية نجدها تقوم بأدوار أقل " فقد تكون صديق الشخصية الرئيسية أو إحدى الشخصيات التي تظهر في المشهد بين حين وآخر، وقد تقوم بدور تكميلي مساعد للبطل أو معيق له، وغالبا ما تظهر في سياق أحداث أو مشاهد لا أهمية لها في الحكى، وهي بصفة عامة أقل تعقيدا وعمقا من الشخصيات الرئيسية، وترسم على نحو سطحي، حيث لا تحظى باهتمام السارد في شكل بنائها السردي، غالبا ما تقدم جانبا واحدا من جوانب التجربة الإنسانية".⁹⁹

ويفهم الكثير من النقاد على أنها مجرد شخصيات مساعدة فقط، لا أهمية لها في الحكى، تظهر فقط كدور تكميلي للبطل، ولهذا لا تحظى باهتمام السارد ولهذا يقول أحد النقاد: "إن كل الشخصيات الثانوية مجرد ظلال لا يتجاوز دورها الوظيفة التفسيرية من جهة وتعميق الرمز المعنوي والدلالة الفكرية التي يقوم عليها البناء الروائي للشخصية الرئيسية من جهة ثانية"¹⁰⁰.

وهذا ما يتناقض مع فئة النقاد الذي أعطوا للشخصيات الثانوية مكانة ودور في الرواية فهي " التي تضيء الجوانب الخفية للشخصية الرئيسية، وتكون إما عوامل كشف عن

⁹⁸ - محمد بوعزة: تحليل النص السردي، ص 56، 57.

⁹⁹ - محمد بوعزة: تحليل النص السردي، ص 57.

¹⁰⁰ - محمد علي سلامة، الشخصية الثانوية ودورها في المعمار الروائي عند نجيب محفوظ، ص 28.

الشخصية المركزية وتعديل لسلوكها وإما تبعا لها، تدور في فلكها، وتتطرق باسمها فوق أنها تلقي الضوء عليها وتكشف عن أبعادها".¹⁰¹

فإذا كانت الشخصية الرئيسية واحد من أفراد المجتمع الذي تعيش فيه باقي الشخصيات فنتفاعل معهم في مختلف مراحل وأزمات حياتها، وهذا ما يفرض مشاركة الشخصيات الثانوية في الأحداث.

¹⁰¹ - صبيحة عودة زعرب: غسان الكنفاني جماليات السرد في الخطاب الروائي، ص 132.

الفصل الثاني: الشخصية الدينية في رواية

أميرة الجبل.

المبحث الأول: أبعاد الشخصية الدينية في رواية أميرة الجبل.

2-1-1: البعد الجسمي.

2-1-2: البعد الإنساني.

2-1-3: البعد الديني.

2-1-4: البعد الاجتماعي.

المبحث الثاني: الشخصية الإنسانية والنماذج البشرية.

2-2-1: الشخصيات الخيرة

2-2-2: الشخصيات الشريرة.

المبحث الثالث: علاقة البيئة بالشخصية.

المبحث الرابع: المقدار الكمي الذي احتلته هذه الشخصية في الرواية.

الفصل الثاني: الشخصية الدينية في رواية أميرة الجبل:

يعد تصنيف الشخصية الروائية حاجة لا بد منها لمعرفة مرتبتها بين الشخصيات الروائية والوظيفية التي تقوم داخل المتن الروائي، فمن خلال تصنيف الشخصية الروائية يحتمل بناؤها، ويستطيع الدارس الوقوف على عالم الشخصية وعلاقاتها مع سواها في إطار من الانسجام والتآلف حيناً، ومن التعارض والتناظر حيناً، مما يضيف على الرواية طابعاً إنسانياً، قلما تحققه لها العناصر الأخرى.¹⁰²

المبحث الأول: أبعاد الشخصية الدينية في رواية أميرة الجبل:

الكاتب إذا يقدم شخصيته يكون حريصاً على أن يعرضها واضحة الأبعاد وهذه الأبعاد هي:

2-1-1: البعد الجسمي:

ويتمثل في صفات الجسم المختلفة، وأثر ذلك كله في سلوك الشخصية حسب الفكرة التي يحللها، وكثيراً ما يكون الجمال الجسدي ملازماً للشخصية الخيرة، وهناك اهتمام بالوصف الجسماني المثالي للمرأة أكبر منه عند الرجل¹⁰³، وهذا قد لا يكون له أي ضرورة إلا أنه فيه نوع من مجازاة العرف السائد في كتابة الرواية لتجذب شريحة خاصة من القراء، ويتجلى ذلك من خلال الوصف الدقيق الذي وصفه لنا السارد العليم للشخصية البطلة "مريم" حيث يقول: "رفعت مريم خمارها ... لم أجد زرقة مخيفة كما صورلي أبوها لكني وجدت وجهها أسمرًا، تخرج بحمرة فانتة، وأهداباً سمراء تحرس عيوناً سوداء حذرة وشفنتين دسمتين ترتجان، كل ملامحها تكتب شعراً من الجمال الوحشي القاتل"¹⁰⁴

حقيقة أن للوجه دوراً كبيراً في التأثير وتحديد درجة الشخصية وقوتها، فمن الوجه ما يقف الإنسان منبهراً وخاشعاً ومستمراً في نظره من شدة الإعجاب.

وحين قال أيضاً "رمتي بنظرة لم أزل أذكرها، نظرة امتنان لم يفتني ما تحمله تلك النظرة من مشاعر الشكر والتقدير، وكانت صفحة وجهها توحى بالبراءة والطفولة والعذرية،

¹⁰² - بحروي حسن: بنية الشكل الروائي، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط1، 1990، ص 233.

¹⁰³ - د. نجيب الكيلاني، نحو مسرح الإسلام، دار ابن حزم، 1411هـ، 1990، م ط1، ص 60-61.

¹⁰⁴ - نجيب الكيلاني: أميرة الجبل، بيروت، دار ابن الحزم، 1418 هـ / 1998 م، ط1، ص16.

لكن مسحة الجمال الوحشي الكامنة في سمرة الوجه وسواد الأهداب، وأعماق العيون، لم تنطفئ لحظة واحدة حتى في ثورة الحزن... والدموع ظلت متوهجة... وشدت على يدي بقوة عند الرحيل.. تمنيت أن يطول الحديث... لكن كيف؟¹⁰⁵

ومن خلال هذه الأقوال قد جسد الكاتب صفات جميلة لشخصية "مريم" لكي تعجب الطبيب ويغرم بها أكيد جمال المرأة نقطة مهمة يبني عليها الحب ولكي يزيد من جمال ورونق الرواية.

2-1-2: البعد الإنساني:

يتأطر السرد في روايات "نجيب الكيلاني" وفق رؤية أفقية، يصاحبها سارد عليم بكل الأحداث إذ يرى أن الإنسان هو "مجموعة من العواطف والأفكار، وفي قلب الإنسان تختلط مشاعر الحب والكره، والعنف واللين، والفن والسياسة، والدين والحياة".¹⁰⁶

ومن هذا المفهوم ينطلق "نجيب كيلاني" في رسم الطريق نحو الوصول إلى مجموعة القيم الإنسانية التي يجب توفرها في الشخص حتى يستطيع التواصل مع بقية الأفراد داخل الحياة الاجتماعية، ويثبت وجوده كإنسان فقال يعمل من أجل سعادته وسعادة الغير، ويتجلى ذلك في شخصية الطبيب في رواية "أميرة الجبل" الذي ذهب إلى سفح الجبل من أجل مساعدة أو معالجة البطلة "مريم" حين قال "عندما بلغنا سفح الجبل توقفت السيارة، ونزل شيخ القبيلة، ثم تبعه دون سؤال، ووجدته يشق طريقه عبر مسار بالجبل". "الطريق ضيف يفرشه حصى صغير ومستوى الطريق يرتفع بنا كلمات تقدمنا، وشعرت بالدفء يسري في جسدي لما أبذله من جهد، حتى أن بعض قطرات العرق أخذت تلمع فوق جبته وحذائي ناعم أنيق ينزلق بي في المواضع الصخرية التي تخلو من الحصى أو الرمال، توقفت عن المسير لألتقط أنفاسي، وأجفف عرقي وأشعل سيجارة وأعطيه واحدة فشكرني، مبدياً عدم رغبته في التدخين أثناء السير"¹⁰⁷.

وعند قوله أيضا "ساعديني أمي لكي أفحص صدرها بالمسماع"، تكلمت مريم على نفسها وتشبثت بثيابها، اقتربت منها في ود، وربت على كتفها في هدوء وأنا أقول: "الطبيب

¹⁰⁵ - نجيب الكيلاني: أميرة الجبل، ص 18.

¹⁰⁶ - نجيب كيلاني: عمالقة الشمال، مطبعة حارة الجمل المتفرعة من ميدان السيدة زينب، القاهرة، ط20، 2005، ص 23.

¹⁰⁷ - نجيب كيلاني، أميرة الجبل، ص 12-13.

ليس منجما ولا ساحرا... لا يدمن وضع المسماع على صدرك...، وفتح الباب فجأة ثم دلفت أبوها مكفهر الوجه، وانقض عليها وجذبها من ذراعها وصرخ مهتاجا: أنت لا تعلمين ما تكبده الطبيب من مشقة.¹⁰⁸

تدخلت بلطف ورجوته أن يترك الأمر لي، فانحرف وهو يحذر.¹⁰⁹

من خلال هذه الأقوال التي نقلها لنا السارد إلا أنها تحمل في طياتها معاني وقيم إنسانية عديدة لهذه الشخصية لأن في الحقيقة الطبيب يعمل في مركزه أو مكان عمله هو ليس مرغم بتتقل ولكن لطيفة قلبه وحب مساعدة الآخرين وخاصة مرضاه إلا أنه قطع أو انتهج هذا المسك البعيد والمتعب أما يوجد بعد إنساني آخر وذلك يظهر في قوله : "كان الحارس يغط في النوم على باب المستشفى، وتباشير الفجر تلون الأفق الشرقي وتسالت مريم في صوب بيتي وأخذت تدق الجرس ... لم أنزعج، فقد تعودت أن أسمع دقات الجرس في أي وقت ... أنا طيب ... والمرض لا وقت له ... قد يأتي المتألمون في أية ساعة ... بابي مفتوح دائما لكل الآلام ... لا أستطيع أن أتجاهلها أو أصددها".¹¹⁰

هنا تبين السارد أن الطبيب إنسان فاضل ويعمل بروح المسؤولية وبضمير تجاه عمله وكان بإمكانه لا يستقبل وقت راحته ولكن هو عدم راحته أهون من تألم مرضاه ويتجسد السارد أيضا لنا في قول ¹¹¹ : "وعندما فتحت الباب فوجئت بمريم ... أه "صباح الخير" ... هل عاودك المرض ...؟ تستطيعين أن تنتظري في المستشفى سوف آتي بعد دقائق "

كانت شاحبة تائهة في عينيها دموع ... إن شعرت برضى خفي لمجرد رؤيتها ودفعت مريم الباب ودلفت إلى الداخل ... قالت مريم:

- " لست مريضة ... "

- " لماذا أتيت إذن ...؟ "

- " أتكره لقائي؟ "

- " حاشا لله !! "

¹⁰⁸ - المصدر نفسه، ص 18.

¹⁰⁹ - المصدر نفسه، ص 19.

¹¹⁰ - المصدر نفسه، ص 67.

¹¹¹ - المصدر السابق، ص 68.

- " لقد هربت منهم ... "

صحت في دهشة:

- "ماذا؟"

- " لن أعود إلى الجبل... ".

- " هذا جنون ... "

- "تركت ورائي كل العذاب... "

- " لا أفهمك... "

- " وهل في الجبل يا طبيب غير الفقر والحقد والعمى؟ "

قلت وأنا أبتلع ريقى في ارتباك:

- " أنت واهمة سوف يأتون ورائك إنها كارثة كبرى. "

- " لن يروني... "

- " وأنا مسافر... "

- " إلى أين؟ "

- " لقد تقرر نقلي إلى دبي ... "

- " هذا أفضل ... سأتي معك " .

دق قلبي ، همست:

- " هذا مستحيل ... "

- لماذا؟ لا تريد خادمة تخدمك؟ "

- " أنا أعزب ... وأهلك لن يتركوك ..وا إذا رأك أحد معي الآن فالله وحده يعلم ما

سيحدث ... "

صمتت برهة، ثم قالت:

" لا أعرف الطريق إلى دبي... أعطني عشرة ريالاً... سوف أركب سيارة أجرة، وسأنتظرك في المكان الذي تحدده في دبي... أسرع قبل أن يسفر النهار... ووجدتني أخرج مائة ريال وأضعها في يدها..."

- السارد هنا يصف لنا وصفا واضحا للقيمة الإنسانية التي تكنها هذه الشخصية الجلييلة وتتمثل في: أن الطبيب صاحب قلب رحيم ومد يد المساعدة لمريم وشفق عليها ولم يصددها وعرض نفسه للخطر من أجلها لأن لو علم أهلها لقتلوه وكان بإمكانه أن يصددها ولا يساعدها لأنه إنسان متعاطف وكريم والدليل على ذلك من خلال قوله هذا (لو علم الشحوح بما يجري الآن لقطعوا رقبتني ... لماذا لم أتصد لحماقتها، وأرفض مشروعها الجنوني وأطردها شر طردة؟ لماذا لا أكون حازما في مثل هذه الأمور.)¹¹²

- وأيضا كان له دور كبير في حياة مريم مخها الحركة التي كانت تفقددها وأخرجها من القيد الذي كانت تعيش فيه، وهذا من خلال قوله:

- " سأسافر يا مريم "

- " إلى أين ؟ "

- جولة إلى الكويت... أو سوريا... حوالي شهرين أعود بعدها "

- نظرت إليه في دهشة، ثم اكتسى وجهها بالفرحة الغامرة وقالت: " لطالما كنت أعلم بذلك ...

هتفت وأنا لا أكاد أصدق:

- "ماذا؟"

فلم ترد على تساؤلاته وانطلقت وثبا إلى الداخل ثم عادت وفي يدها جواز سفر قلت: " ما هذا؟".

" جواز سفر... أنا وأبي نملك جواز سفر أخذناه من حاكم رأس الخيمة اختطفت يدي وبدأت تقبلها وترجوني في إلحاح ألا أحرمها هذه الفرصة، لأنها فرصة العمر ثم ضمت جواز

¹¹² - نجيب الكيلاني: أميرة الجبل، ص 69.

سفرها إلى صدرها وأخذت تتمايل وتدور في أنحاء الشقة الصغيرة، وكأنها في حلم بهيج ثم التفتت إليّ قائلة:

أنت لا تدري كم أحبك... أنت أغلى إنسان عندي في الوجود...

إنك فتحت عيني وأذني على الدنيا الحقيقية...

الجبل كالسجن المخيف... قلعة مرعبة تحميها الأكاذيب، ويحرسها الكلاب، وتطل عليها الشمس المحرقة والتقاليد¹¹³.

فأخذ الطبيب معه مريم إلى لبنان ومجرد وصوله في اليوم الثاني تزوجها على سنة الله ورسوله، وأحب بعضهما كثيراً.

هل يمكن أن يمتدّ حبنا في الجنة؟

"في الجنة يا مريم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر".

"ضممتها إلى صدري قائلاً: آه يا فيلسوفتي الغالية..."

"لا أعرف الفلسفة... ولكني أقول ما أشعر به..."

"ذلك أؤمن شيء في الوجود..."

نفرت مني وهتفت قائلة:

"عدني أني سنبقى هكذا حتى الموت..."

"أعدك يا مريم..."

"ابتسمت وهامت بنظراتها الفياضة بالحب والحياة في العالم المسحور من حولنا، وأخذت تغني ثم اختطفت واحدة من "التفاحات الموضوعة الموضوعة على السور في طبق بلوري وأخذت تأكل منها ثم تقربها من فمي لأقضم أنا الآخر كنت ألبس الروب لاتقاء البرد واضعا يدي في الجيوب ثم أشعلت سيجارة وأخذت أنفث دخانها في سعادة، وشردت بضعة

¹¹³ - نجيب الكيلاني، أميرة الجبل، ص113.

دقائق ودخلت هي ثم خرجت فوجدتني أقول: لقد فكرت يا مريم وقررت شيئاً سوف يثلج صدرك تماماً ويحمي سعادتنا من عواصف...

قال متلهفاً سوف أرسل إلى أبيك خطاباً أضمنه كل شيء...¹¹⁴

أعني أنني سأخبرهم أننا تزوجنا على سنة الله ورسوله وسأرسل له نسخة من وثيقة الزواج...¹¹⁴

فالكيلاي وصف لنا الطبيب المثالي الذي يتحلى بالقيم الانسانية لأنه يرى بأن الانسان مجموعة من العواطف والأفكار ومن بين هذه القيم التي توفرت في الطبيب (الخير، الاحترام، الشفقة، الأخلاق الحميدة، الحرية) كل هذه القيم تخدم الانسان المثالي.

2-1-3: البعد الديني:

يعتبر "نجيب كيلاي" من أبرز كتاب الرواية الإسلامية، ورواية (ميرة الجبل) لا تخرج عن هذا الإطار.

فبعض الحضارات يسري في كيانها روح الأخلاق، فتجد كل شيء فيها تحكمه الضوابط الأخلاقية، وهذه الروح هي التي أرادها الله عز وجل أن تكون عماد الحضارة الإسلامية، لأنها صمام الأمان لبقاء الحضارة وامتدادها، وعامل الاطمئنان عند الفرد في إطار هذه الحضارة.¹¹⁵

وكذلك محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن من قبيل المصادفة أن يولد يتيماً، بل كان ذلك تقدير العزيز الحكيم، لتتولاه عناية الله وحدها يقول: **لِلّٰهِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحِسَابِ** ﴿٥٠﴾، (الضحى: 06-08).

وغيرهم من الأنبياء، وهذه الحقيقة يؤكد القرآن الكريم دوماً، فليست أخلاق الأنبياء وأفكارهم انعكاساً لمجتمع معين، بل كانت أخلاقهم حدثاً جديداً ومنهجاً ظرفياً يدخل المجتمع من خارجه.

¹¹⁴ - المرجع السابق، ص136.

¹¹⁵ - الإمام الطبراني: معارج الأخلاق، تحقيق فاروق حمادة، المكتب التعليمي السعودي بالمغرب، ط1، 1980، ص 06.

ومن خلال قولنا لما سبق أن الشخصيات لرواية أميرة الجبل لها بعد ديني ويتجلى ذلك من خلال هذه الأقوال " في الماضي كنت ألبأ إلى أبي العالم الجليل أسأله عما يكرهني أو يحيرني، وألتمس من حنانه جرعات أروي بها ظمأي، وأهدئ بها من تمردي، كان دائماً يحدثني عن الله... ويؤكد لي أن الإيمان علاج لكل داء، وأن الرضا سعادة ويفيض في شرح ألعيب الشيطان، وكيف يتسلل إلى قلب المؤمن... كنت أتذكر كلماته الصادقة حينما ساقوني إلى السجن تحت الأرض، أتذكرها والسياط تلهب جسدي والغيط يأخذ بمجامع نفسي، فلا أجد كلمات أبي كانت راوي في رحلات الشقاء المتتالية." ¹¹⁶

ويظهر البعد الديني أيضاً في هذا القول:

قال لي أبي ذات مساء:

- " المحن هي توابل الحياة".
- "ولكنها صعبة يا أبي".
- " وهي التي تصهر سعادة الرجال، وتكشف عن معادتهم"
- "نحن كالعبيد يا أبتى".
- " أي بني الحرية هي وجودك، إنها في داخلك لا تموت...، والسياط تزيدها اشتعالاً".
- "دليل وجودها تلك الآثار على جسدك... لقد خلقها الله فنيا .. هي دماء المؤمن" ¹¹⁷

من خلال هذه الأقوال السارد يبين لنا أن شخصية هذه الرواية دينية إسلامية، ولديه إيمان قوي.

ويتأطر السرد وفق رؤية أفقية لساردٍ عليم بالأحداث في:

"وعندما علمت أنهم قتلوا أبي ضمن من قتل من العلماء أصابني اضطراب هائل، واهتزت كل قيم الدنيا في رأسي، خيل لي أن العالم كله يتواطأ ضد الشرفاء والأحرار، لم أجد من يأخذ بثأر أبي، شعرت بتضاؤل قاتل... فمن يكون أبي؟ ومن أكون؟ أفراد في جيش النمل الكبير الذي تسحقه أقدام السائرين في دنيا الله الواسعة الكبيرة... حاولت أن أعود

¹¹⁶ - د . نجيب الكيلاني، أميرة الجبل، ص 51.

¹¹⁷ - المصدر نفسه، ص 52.

لآثار... ضحكت... أصابني اليأس... الحرية التي خلقها الله في دمي يبدو أنها تذوي...
تتبخر... تفني... في صومعتي برأس الخيمة أحاول أن أقرأ القرآن... نظراتي تزوغ بين
السطور... وأرى عيني أبي تلومني وكأنه يلح على أن أستمر في القراءة...

يا أبي... نم هائئ الروح في قبرك المجهول، فإن ابنك لم يرتكب إثماً...¹¹⁸

وخاصة في هذه الأقوال دليل على أن ملامح الجسمية الجميلة للشخصية قد أعطت
تأثير كبير وبالغ في الإلهام من النظرة الأولى وهذا وارد في كلامه حينما قال: " كان شيخ
القبيلة يتكلم، وبرغم متابعتي لكل ما يقال إلا أن وجه ابنته ظل عالقا بخيالي، الوجه الأسمر
الفاتن بجماله الوحشي المتحدي، وبساطة القائلة... إنها تذكرني بأغنية فجرية صاخبة...
تتضج بالحرارة... والعرق... والثورة... في فيلم من الفجر لا أدري أين رأيته... ربما أكون قد
رأيته في رأس الخيمة ".¹¹⁹

ومن خلال كلامه نفهم بأن الوجه له بعد جسيمي للإنسان يتأثر ويأثر به، وأن تلك
المشاعر المتضاربة القلقة كانت هي المحور الأساسي التي تدور عليه هذه الرواية من أولها
إلى آخرها، ويمكن للمظهر الجسدي له تأثير يفيد القارئ في استحضاره لهذه الشخصية في
ذهنه.

وعندما سرد السارد العليم في:

وساد الهرج والمرج داخل المسجد الصغير، وشعر علي زيد زيدون يضيف وكرب شديدين
لكنه احترم المسجد، وأدى الصلاة ثم وقف وسط المسجد، وأمر الناس بالبقاء في أماكنهم
وقال متماسكا:

"... لست من علماء الدين، ولكني أب الجميع، ولن أفتي فيما لا أعلم، وكنت أتمنى ألا
يخرج هذا الأمر عن دائرته الصغيرة... وقد سألت أحد العلماء الكبار في رأس الخيمة عن
قول الشرع فيما حدث... فأكد لي أن للفتاة حق في إبداء رأيها عند اختيار زوجها وروى لي
قصة عن امرأة تسمى "بريرة" على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد لها الرسول أن
تتزوج من رجل يحبها لكنها لا تحبه، ورفضت الزواج، فأقر الرسول صلى الله عليه وسلم

¹¹⁸ - المصدر السابق، ص 53.

¹¹⁹ - المصدر نفسه، ص 22.

رغبتها في ذلك ... وقال لي العالم الكبير، وهو موفد من الأزهر الشريف، إن علماء الإسلام
مجمعون على إعطاء البنت البالغة حرية الاختيار...¹²⁰

وقال أيضا " نحن نؤمن بالله ورسوله وكتابه ... "

" أتجراً على مناقشتي؟ من أنت؟ "

" إنسان يعرف الله... ويعتصم بالحق دون أن أعرف القراءة والكتابة... "

أن من خلال هذه الأقوال هي بمثابة دليل قاطع على أن الشخصية الدينية إسلامية وأن
مصدرها الأساسي والحقيقي هو الشرع أي القرآن الكريم ويظهر ذلك بمدى تأثيره بكلام الله

عند نصحه لابنه حيث يقول، قال الله **بِعَلَى** **اللَّاتِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴿الرعد: 28﴾

وهذه الآية الكريمة لها تأثير كبير في الشخصية لذا دائما يطالب ابنه بقراءة القرآن، ويقول

تَبَارِكُ أَيضًا الَّذِي لَوْلَاهُ تَعَالَى: ﴿عَلَى عِبَادِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نِعْمَةَ الْمَلِكِ السَّمِوَاتِ

يَكُنُّ لَوِ الشَّرِّ جِئُكُ فِي الْمَلِكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ (سورة الفرقان: 1، 2).

4-1-2: البعد الاجتماعي:

ويتمثل في انتماء الشخصية إلى طبقة اجتماعية، وفي نوع العمل الذي يقوم به في
المجتمع وثقافته ونشاطه وكل ظروفه التي يمكن أن يكون لها أثر في حياته وكذلك دينه
وجنسيته وهواياته، وهناك أمر قد تشترك فيه معظم روايات الكيلاني وهو أن معظم أبطال
رواياته وشخصها من الطبقة الاجتماعية الوسطى أو الفقيرة، وهذا قد يكون بسبب تأثيره
بالنمط الغالب على القصص والروايات في ذلك الوقت، أي في الستينيات والسبعينيات .

والمرتبط ببداية الفكر الشيوعي وحقوق الطبقة العاملة والفلاحين وحاربة الإقطاعيين والأثرياء
المترفين.

- ويجسد السارد هذه الدراسة للبعد الاجتماعي من خلال هذا القول: " نظرت إلى قدميه

الحافيتين ولحيته الكثة وثيابه المقبرة وغطرته، وعقالقه القدمين ... "¹²¹

¹²⁰ - نجيب الكيلاني، أميرة الجبل، ص 146.

¹²¹ - نجيب الكيلاني: أميرة الجبل، ص 09.

- ومن خلال هذا الوصف الدقيق لشخصية الأب إلا أن تظهر لنا حقيقة المجتمع الذي يعيش فيه رغم أنه شيخ القبيلة لكنه يعيش حياة متواضعة وفقيرة، وماذا نقول عن أهل القبيلة.
- وعند قوله أيضا: "جلست إلى جوارها على سجادة قديمة"¹²².
- وهنا السارد يصف لنا بأن بيتها يملك أثاث قديمة يعني هذا من الطبقة الاجتماعية الفقيرة.

المبحث الثاني: الشخصية الإنسانية والنماذج البشرية:

إن الشخصية الإنسانية في الرواية والنماذج البشرية قد تختلط عند بعض الدارسين ولنبدأ بتعريف كل منهما، ثم لننتقل إلى الأسباب التي تؤدي إلى هذا الاختلاط.

الشخصية الإنسانية لها مشخصاتها الدقيقة وخصائصها المميزة وقسماتها الفارقة، وبهذا تختلف عن سواها من الشخصيات، أما النموذج البشري فهو تجسيم مثالي لسجية من السجاي أو لنقيصة من النقائص، أو لطبقة أو مجموعة من الناس، وهو يحوي جميع صفاتها وخصائصها الأساسية، وهي تسمى أيضا الشخصية النمطية، أو الشخصية الجاهزة، وهي شخصية لا تكون أساسية في العمل الأدبي، ولكنها معروفة بنمط معين عرفت به، وجاهزة لأداء دورها المعين، ويشترط في الشخصية النمطية ألا تكون رئيسية أو ذات دور فعال، ويحسن أن تتشبه بشريحة اجتماعية، وتمثل شخصية نابعة من المجتمع.¹²³

وبما أنا بحثي هذا يتناول شخصية الإسلامي في رواية أميرة الجبل لنجيب الكيلاني فيمكن دراسة تصنيف الشخصيات أكثر أهمية وضرورة.

ومن الأسباب التي تؤدي إلى الاختلاط بين الشخصيات الإنسانية والنماذج البشرية

ما يلي:

¹²² - المصدر نفسه: ص 18.

¹²³ - التونجي: المعجم المفصل في الأدب، ج2، بيروت، دار الكتب العلمية، 1999م، ط2، ص 546.

1- محاولة وصف الشخصية الإنسانية ببعض الخصائص النموذجية، أو المثالية في نوعها فقط، بعد ذلك شخصية إنسانية تحوي مشاعر الطيبة والندم والرقّة التي تحالف ما يعرفه الناس عن مثل هؤلاء المحونين .

2- يستعيز الكاتب أحيانا عن الشخصية ببعض الصفات الخلقية المجردة التي تمثل الجوانب الواضحة منها كركقة القلب والشفقة والحنان وحسن الطوية، أو الخبث والخسة واللؤم والمكر .

3- مبالغة الكاتب في تخطيط الشخصية، حتى يتخطى بها حدود الطبيعة الإنسانية، إلى "الكاريكاتور" أو الشخصيات المضخمة، فهو يبالغ في تحديد بعض الصفات، ويجسم بعض الملامح الفارقة، ويبرز بعض العيوب المميزة مما ينأى بالشخصية عن الصدق والواقع.¹²⁴

والمعرفة الواسعة لمختلف الشخصيات الإنسانية، ضرورة جدا للقاص الذي يسعى إلى رسم شخصيات صادقة حية، وإن حدود رسم الشخصية القصصية لا تقتصر على النطاق الذي تجول فيه الملاحظة المباشرة، أو على المعلومات التي تتحدر إلى الكاتب من مصادره الثانوية، بل تعتمد أيضا اعتمادا كبيرا على ادراكه لإمكانيات الشخصية الإنسانية ولطاقاتها الكامنة وهذا الإدراك يتوقف على فهمه لشخصيته، وقدرته على استبطانها، والفتنة إلى أحاسيسها الداخلية.¹²⁵

ويتضح عيب هذا النوع من القصص إذا اقتصر على ابراز الصفات المشتركة بين الفرد وبيئته أو طبقته، لاتخاذ نمودجا لها، دون النفاذ إلى خصائص الفرد التي يتميز بها عن سواه، حتى أهل طبقته الاجتماعية نفسها، وإذا أهمل المؤلف في الكشف عن هذه الخصائص جاءت شخصياته نماذج عامة لا حياة فيها.¹²⁶

والأحداث أن يقصد المؤلف إلى الكشف عن الخصائص المميزة لكل فرد عن سواه، وفي هذا الاتجاه يسبر المؤلف الأغوار النفسية للإنسان، ومسلكه من بيئته ومجمعه،

¹²⁴ - نجم محمد: فن القصة، بيروت، دار الثقافة، (د.ت)، (د.ط)، ص 106-107.

¹²⁵ - المصدر نفسه، ص 96.

¹²⁶ - غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، بيروت، دار العودة، 1973، (د.ط) ص 507.

ومطالبه في موقف معين ... ولم يعد هم الكاتب القصصي محصوراً في رسم نماذج بشرية للوصولي أو الطموح أو البخيل أو رجل الدين في فترة ما، إذ أن مثل هؤلاء - إذا أخذوا نماذج - تفسر أعمالهم كلها على هذا النمط، كأنها محكومة بعاطفة واحدة أو نزعة واحدة، وفي هذا يتشابهون مع من سواهم، ولكن الأمر في الفرد أكثر تعقيداً في دوافعه، وأكثر حيوية في اتجاهاته، حتى يستعصي تفسير جوانبه في بساطة ويسر، فهو مخلوق من لحم ودم، له نشأته ووراثته وأمراضه النفسية الخاصة، قادر على القيام بكثير من أعمال الخير والشر معاً، يتوقع المرء منه كل شيء، ويخاف منه، ويأمل فيه كل أمر، ولا يتناقض هذا الاتجاه مع قصد المؤلف إلى الكشف عن قضايا وأراء اجتماعية من خلال التصوير الدقيق لأحوال الفرد.¹²⁷

إن موضوع تصنيف الشخصيات موضوع واسع، وكثير التشعبات فبالنظر إلى ما يرمز إليه الشخصيات أو ما تهدف إليه فبإمكاننا أن نقسم الشخصيات إلى شخصيات خيرة وشخصيات شريرة، وإلى جانب ذلك نرى هذه الشخصيات، أراد لها الكيلاني أن تكون نماذج للخير والشر في صراعهما معاً على امتداد الزمان.

وسأختار في هذا المبحث بعض الشخصيات التي أراد لها الكيلاني أن تقوم بدور ما في الرواية، ونرى مميزات هذه الشخصيات وأهميتها وهل استطاعت أن تقوم بالدور المنوط أم عجزت عن ذلك؟

2-2-1: الشخصيات الخيرة:

هي شخصيات خيرة، نقية كل النقاء تضحى من أجلها، وتعنيها وتنفيذ إرادتها، وتأخذ من بين هذه الشخصيات الخيرة شخصية الطبيب الإيجابي أو الخير.

2-2-1-1: شخصية الطبيب الإيجابي أو الخير:

في روايات الكيلاني اهتمام واضح بشخصية الطبيب، وهذا طبيعي إذ يذكرنا أنه طبيب، وقد تناوله بشقيه، فهو الطبيب المخلص الذي يقوم بعمل على أكمل وجه، وأيضاً الطبيب الآخر الذي كل همه الريح المادي، وجني الثروة من دماء الفقراء والمحتاجين، وهنا في رواية "أميرة الجبل" نرى الصنف الأول للطبيب الذي قد قدمها لنا من الواقع الذي عايشه

¹²⁷ - غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، ص 508.

كطبيب، وكان وصفه واقعياً جداً لأنه كان شديد القرب من هذا الجو المتعلق بالمستشفيات والأطباء، وبقي أن نذكر أن هناك مجموعة من القصص القصيرة التي كان موضوعها كلها الطبيب، وقد سماها "الكيلائي" "حكايات طبيب" كان فيها تركيز كامل على الطبيب وقد أوضح الكيلائي أن كل هذه الحكايات واقعية وقد عايشها بنفسه أو كان شديد القرب منها، ولم نتناول هذه القصص القصية بدراستنا هنا لأن بحثنا يتعلق بالرواية فقط، ولكن رأينا أن نلفت الأنظار إلى تلك القصص لأنها تتناول نفس الموضوع الذي بحثناه هنا.

وقد صور الكيلائي في رواية "أميرة الجبل" للطبيب أنه شاب هاجر من بلده لأمر سياسي، ثم يلتقي بفتاة من قبيلة الشحوح، سيجبرها والدها على الزواج من ابن عمها اتباعاً لتقاليد القبيلة فتعرض الفتاة لمتابع صحية بسبب أزمتها النفسية المتعلقة بذلك الزواج، فيقوم الطبيب الشاب بمعالجتها بوعي وإدراك وفهم لمسؤوليته كطبيب، لتستقر حالتها وتتحسن، وشخصية الطبيب في هذه الرواية تتناول البعد النفسي بشكل كبير، فهو يعاني من وحدته وغرته، ومع ذلك فنراه عنيفاً محافظاً على دينه وأخلاقه، لم يرتكب اثماً، ولم يضعف في وقت كان الزلل والخطأ من كل جانب حوله، وفي هذه الشخصية يظهر الكيلائي ثبات الشاب المسلم وعفته وسمو الأخلاق التي تتبع من الدين الإسلامي، وهذه الصفات تأخذ حيزاً أسمى حين تكون صفات طبيب يطلع على أسرار الناس وأمورهم الخاصة، فتحفظه أخلاقه تلك من الزلل والخطأ، فيكسب ربح الناس واحترامهم له كما حدث مع ذلك الطبيب في هذه الرواية.

- " ابنتي في حالة خطرة " 128

- " أين هي؟ "

- " هي قريبة جداً لدى سفح الجبل "

- " طال الطريق يا شيخ ... "

- " ابنتي هذه أحبها وأكرهها تصور !! "

- " كيف ولماذا؟ "

- " ترفض الزواج من ابن عمها... إنني لا أقبل اعتراض النساء... لكنها في نفس الوقت ذات خلق وإباء... هي بحق صورة لكبريائي ومكانتي ..."¹²⁹

- " لكني أخالفك الرأي لم لا تدعها تتزوج من تشاء ... "

- " جلست إلى جوارها على سجادة قديمة وأخذت أجاذبها أطراف الحديث، وكلها تدور حول المرض، ثم بحث عن دواء مهدئ للأعصاب وآخر مضاد للحساسية"¹³⁰

- " وأدركت أن معدل تنفسها قد أصبح طبيعياً وأن وجهها قد تكلل بالإشراق والاطمئنان برغم ما يعتريه من غضب خفيف"¹³¹

" دق بابي في إحدى الليالي، وخرجت لأفتح الباب فإذا بها أمامي، وهذا شيء يزعجني، ويسبب لي الكثير من المتاعب... وما إن فتحت الباب اندفعت إلى الداخل ... قلت في ارتباك:

- " هذا ممنوع "

- " جئت لأستجد بك ... "

- " اذهبي وسأتي إليك في جناح الحريم..."¹³²

لم تعر كلماتي اهتماماً وقالت في غيظ:

"إنه يجلس بباب المستشفى لا يفارقه..."

"من..."

"ابن عمي خميس... أطرده ولا أريده هنا..."

"أذهبي سأتي بعد لحظات..."

فصلت بينهما ثم قلت لخميس قائلاً :

¹²⁹ - نجيب الكيلاني، أميرة الجبل ص 13.

¹³⁰ - المصدر نفسه، ص 19.

¹³¹ - المصدر نفسه، ص 20.

¹³² - المصدر نفسه، ص 21.

اذ لم تخرج استدعيك لك الشرطة... ليس هذا موعد الزيارة... تفضل...¹³³

من خلال هذا الوصف العميق لهذه الأحداث قد بين الكيلاني أخلاق الطبيب التي أساسها الدين الاسلامي الذي لا يخرج عنه، والمتمسك به رغم اللحظات والفرص التي قد أتحت له في ارتكاب المعاصي.

2-2-2: شخصية الأب:

في رواية **نجيب الكيلاني** تحظى شخصية الأدب اهتماما خاصا منه ولها مكانة مميزة تبين منزلتهما عند الكيلاني الإنسان، ثم عند الكيلاني الأديب، والأب والأم في القرية تمثلهما شخصية بسيطة، طيبة القلب، تتميز بصبرها الذي ليس له حدود يقف عندها، وأفضل شخصية توضح ذلك هي شخصية الأب في رواية **أميرة الجبل** لأنه بمثابة الأب والأم لابنته **مريم** لأنها كانت يتيمة الأم وأن أباه **علي زيد زيدون** وكان يحبها أكثر من روحه، وتحبه هي أيضا أراد أن يزوجها لابن أخيه وذلك لحب مصلحتها فقط، " لكنها في نفس الوقت ذات خلق وإباء... هي بحق صورة لكبريائي ومكانتي..."¹³⁴ كونه شيخ القبيلة وكلمته مسموعة عند أهل الجبل لم يتقبل رفض ابنته له ويرى أيضا أن " **خميس** ابن عمها فتى لا بأس به، وهو ابن عمها أولا وأخيرا، أما ذلك الصعلوك المدعو عبد الله، الذي تحبه مريم " هو فتى تافه لا قيمة له، لم يعرف عنه سوء الجبن والاستهتار والبطل... إنه منا ونحن منه، لكنه لا يصح أن يتزوج من ابنتي... قال لي أبي رحمه الله أن جده **عبد الله** لأمه كان من جنس العبيد... ومريم ابنتي طيبة القلب يخدعها المظهر الكاذب، والكلام المعسول، عبد الله خواء في خواء كلما تجمع لديه ريال أو أكثر... هبط المدينة ليلهو ويعبث... لقد نفقت حيواناته كلها لإهماله إنه أقدر مما يتصور العقل... الحقيقة لا أقسو عليها لأنني احبها بشدة... لكن عندما يجد الجد، وتحين الساعة سأجذع أنفعا وأرغمها على فعل الصواب..."¹³⁵

ولكن مريم لم تسمع كلام أبيها واختارت طريق آخر هو زوجها مع الطبيب ورغم هروبها كان بمثابة كارثة حلت على جبل الشحوح ولكن سماعها خبر زواجه من على سنة الله ورسوله أفرحه وتقبل رأيها لأنه ليس جامدا لأن الجميع يعرفون عنه حسن الرأي والروية إلا أن هذا الخبر أثار الهرج والمرج في الجبل وقالوا أن العار يمحوه الدم.

¹³³ - نجيب الكيلاني، أميرة الجبل، ص41.

¹³⁴ - المصدر نفسه، ص 13.

¹³⁵ - نجيب الكيلاني، المصدر السابق، ص 21.

ولكن أباهما قال: انتهى ولسوف أستقبل ابنتي هي وزوجها في الجبل وسنقيم الأفراح أسبوعاً كاملاً... وسأدعو القاضي والداني فلم يسبق أن تزوجت امرأة من الشيوخ طبيباً عربياً... هذا فخر للقبيلة وأنا سيد القبيلة... وأنا راض عما تم بكل ملابساته... ولن يستطيع كائن ما كان أن يقنعني بسفك دم مريم " 136، وفي الأخير تقبل اختيارها حسب الشرع قال: " المرأة البالغة لا ترغم على الزواج".

فهذه شخصية الأب الذي جمع فيها الكيلاني صفات شتى كلها تنصب في خانة التضحية والعطاء اللامحدود والطيبة المتناهيين، والتوكل الكامل على الله، وفي نفس الوقت لا يفرط بشرفه أو كرامته.

2-2-2: الشخصيات الشريرة:

وهي شخصيات شريرة، شديدة القتامة، أي هي شخصية يظهرها الكاتب ميّالة نحو الشر و لا سيما نحو البطل، أو نحو الفكرة الإصلاحية التي يعالجها، وهو سلوك معاد لآراء جمهور الناس، ومعاكس لشخصية البطل، وقد يكون الشرير ذا مكانة مهمة في العمل الأدبي، وصفات الشريرة عادة مخالفة للأعراف السائدة والخير الذي يحبه البطل والمثالية التي يهدف الكاتب إلى إبرازها. "137

وفي الحقيقة فليس بالضرورة أن تكون الشخصيات كلها خيرة لأن الحياة فيها الأخيار والأشرار، وليس بالضرورة كذلك أن تكون الشخصية الواحدة نفسها خيرة في موقف وشريرة في موقف آخر، فالإنسان فيه الخير وفيه الشر، وقد يتغلب الخير على الشر في موقف، ثم يتغلب الشر على الخير في موقف آخر، وهكذا تستمر الحياة، والقصة تهوير للحياة بكل ما فيها وبكل من فيها، ولعل هذا التقسم - إلى خيرة وشريرة - عائد إلى تأثير الكتاب بالرومانسية، فالحياة في الرواية الرومانسية أصبحت معركة بين الخير والشر، فالشخصيات بدلاً أن تكون واقعية أو بكلمة أخرى إنسانية فإنها غدت عند هؤلاء الروائيين: إما بيضاء أو سوداء، والشخصيات الإنسانية أو الواقعية لا تكون خيرة كلها أو شريرة كلها، غير أن ذلك

136 - المصدر نفسه ، ص 43.

137 - التونسي: المعجم المفصل في الأدب، ج2، بيروت، دار الكتب العلمية، 1999، ط2، ص 549.

كان نتيجة فرض نظام مثالي أخلاقي جامد على الحركة الفعلية للسلوك الإنساني وتعقيدهاته".¹³⁸

2-2-2-2: شخصية المطوع "حسن بن محمد":

المطوع "حسن بن محمد" شخصية دينية واجتماعية لها دور كبير في قبائل الشحوح التي تعيش في الإمارات العربية المتحدة، يرى نفسه " مصدر البركة وينبوع العلم والمعرفة في الأرض، وإرضاءه من إرضاء الله .. وهو يقف بإيمانه وعلمه على الأبواب التي تتسلل منها الشياطين...¹³⁹!!

ويقول: لو كنت في أرض غير هذه الأرض لقبّ لو التراب الذي أسير عليه...¹⁴⁰

وهو يقترح على رئيس القبيلة الذي يريد تزويج ابنته "مريم" من ابن عمها، وهي ترفضه وتريد الزواج بشاب آخر من شباب القرية، فهو يقترح عليه أن يتزوجها هو أي المطوع نفسه، حسماً للخلاف بين الشابين، وهو قد تجاوز الخمسين، وعندما لم يتلق الوالد بقبول وجدية، نراه يهتف على غيظ: "إنني أنذركم... إن ابنتك تحمل لأرضنا الخراب، وسوف تهب من ناحيتها عاصفة الخلاف والفتنة..."¹⁴¹

ولعل هذا الموقف الأول الذي ابتدأ الكيلاني فيه بعرض هذه الشخصية، قد أعطى مجملاً لهذه الشخصية، فهو يعتبر نفسه مصدر البركة والخير، وهو يرغب بالزواج من مريم، لكن عندما رفض والداها انقلب من راغب بالزواج إلى اعتبار مريم حاملة للخراب، فالتناقض في تصرفاته إذا تعارضت مصالحه يبدو جلياً منذ البداية.

"وعلي زيد زيدون" رئيس القبيلة يعلم أن " مطوع القبيلة لا يجمع في عقله علماً يذكر، بل إنه خليط من السحر وقليل من محفوظ القرآن، وبعض الأحاديث النبوية، والآداب الشرعية، ونتفا من السيرة النبوية لا تصل بالرجل إلى العلم والأصالة، وكان يعرف أكثر من غيره أن المطوع لا يحظى بأي تميز أخلاقي، بل حامت حوله شبهات كثيرة تتعلق بالمال

¹³⁸ - السعافين إبراهيم: تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام، العراق، من منشورات وزارة الثقافة والإعلام، ودار الرشيد للنشر، 1980، (ب . ط)، ص 105.

¹³⁹ - نجيب الكيلاني، أميرة الجبل، ص 80.

¹⁴⁰ - المصدر نفسه، ص 81.

¹⁴¹ - نجيب الكيلاني، أميرة الجبل، المصدر نفسه، ص 80.

والنساء، ولم يكن ينكر أنه برغم تناقضه يحظى بغير قليل من الحب والتأييد، ولم لا؟؟ إنه يؤم الناس في الصلاة، وخاصة في يوم الجمعة، ويكتب لهم بعض الرقى لتقوى همهم وتزيل عنهم بعض الأمراض، وتفتح لهم آفاق الأمل المغلقة، وتقرب بين القلوب...»¹⁴²

ويظهر الدور الذي يقوم هذا المطوع في القبيلة عندما هربت "مريم" ولم يعرف أفراد القبيلة مكانها، فقالت عجوز منهم: "ابحثوا عن "حسن بن محمد"... هؤلاء "المطاوعة" يستخدمون الجان...»¹⁴³

فوالدها يرى أن المطوع " قد ورث عن آباءه بعض المخطوطات القديمة ذات الأهمية البالغة، بعضها مكتوب بدم الغزال، وربها أساليب تكشف المخبوء، وإمطة اللثام عن عالم الغيب واستخدام الجان في ربط قلوب المحبين أو التفرقة بينها، وبها قسم خاص للتداوي بالبذور النباتية، أو الرقى و التعاويذ، وبها أشياء عن الطالع والنجوم ، والفلك والكوارث المحتملة، والبشريات المتوقعة... " حسن بن محمد" موسوعة علمية كبرى، يعترف لها أهل الجبل بالتفوق والتميز... .

والرجل ذكي برغم خبثه، ويمتلك ثروة لا بأس بها، وله نفوذ غريب على الجميع، وشيخ القبيلة يلجأ إليه في بعض الظروف الحرجة، عندما يكره أمر، أو تعضله مشكلة...»¹⁴⁴

وعندما يذهب علي لسؤاله عن مكان مريم يبدأ كلماته المتعجرفة الغامضة، ثم يقول كاشفا عن الثمن الذي يريده مقابل البحث عن "مريم" وهو الزواج منها، فيوافق والدها ليأسها من أن يجد مساعدة عند غيره، وعندما يحاول الوالد الاستفسار عن كلماته السابقة، يقف ويصيح مقاطعا له: " قف عند حدك يا علي... ولا تخض فيها ليس لك به علم، غير أنني أؤكد لك، أن عروس الجبل ستظهر... وسيكون لظهورها رنة فرحة كبرى... وستقام الأعراس في أنحاء الجبل اذهب والزم بيتك... وانتظر أيها الملهوف... حتى تدنو القطوف... وغدا تلتئم الجروح... يا سيد جبل الشوح...»¹⁴⁵

142 - المصدر نفسه، ص 81.

143 - المصدر نفسه، ص 102.

144 - المصدر السابق، ص 103.

145 - المصدر نفسه، ص 108.

فهو لا يريد التوقف عند كلماته السابقة التي ملأها بالتهديد للقبيلة على عدم سماعها لنصائحه، ويقصد بتلك النصائح زواجه من " مريم " ويلمح لرفض أبيها ذلك، فهو لا يريد أن يكشف عن جهله بمكانها، فلذلك نراه يسارع في الانتقال إلى أمر آخر ليشغل به والدها ويطلب منه لزوم بيته وانتظار عودة ابنته.

وفي اليوم التالي اختفى المطوع ولم يعثر له على أثر، فقد ذهب يسأل ويحاول جمع الأخبار من القبائل الأخرى، ومن المستشفى، حتى استطاع أن يعلم من أحد سائقي سيارات الأجرة أن فتاة ركبت معه إلى دبي في نفس تاريخ فقدان "مريم" وينفس أوصافها، فنتبع هذا الخيط حتى رآها عن طريق المصادفة في دبي، إلا أنه لم يستطيع أن يلتقيها فقد أثرها ثانية، وعندما علم أهل القرية من زواجها من الطبيب المغترب، فرح والدها وأعلن ذلك الزواج أمام أهالي القبيلة ليحمو العار الذي لحقه بفرارها، لكن المطوع " حسن " كان يردد " هذا عار لا يمحوه إلا الدم... " ويكرر هذه الكلمات في أذن ابن عمها، ويغري بها " عبد الله " الشاب الآخر الذي كان يريد الزواج بها، وبدأ ينشر المطوع كلماته تلك بين رجال القبيلة ونسائها... وقد كان لوقع الخطاب الذي أرسله الطبيب ليؤكد لوالدها أنه تزوجها على سنة الله ورسوله، وأرسال إليه صورة طبق الأصل عن وثيقة الزواج الشرعية، فازداد المطوع في حقه، وبدأ يتناول على شيخ القبيلة، ويقول: " لاتتكلما في الدين، إنكم تحكمونه في الوقت أو الموقف الذي يروق لكم... الدين هو ما أقوله أنا... "146

وفي خطبة الجمعة التالية تكلم المطوع عن الفساد الذي استشرى، وكان يقصد ما حدث من ابنة شيخ القبيلة، وتطور الأمر وحدث جدال بين شيخ القبيلة وبين المطوع، انتهى بأن تقدم "علي" من الطوع بعد صلاة الجمعة أمام الناس ووسط المسجد، وقال في قوة وإصرار:

- " لا بد أن ترحل عن هذه الديار يا حسن بن محمد" ..

- هذه أرضي ..

- أنت تحرق أمنها ..

- ليس لك فيها أكثر مما لي ..

146 - نجيب الكيلاني، أميرة الجبل، ص 191.

- هذا حكم الله .. وقد أمرت بنفيك اتقاء للفتنة، ولأنك تعديت حقوقك.. فلنأخذ نساءك وأولادك ولترحل..

ثم أكمل موضعا :

- أنت يا حسنلست الدين... ولست الممثل الوحيد له، في الجبل وخارج الجبل عشرات من العلماء الأتقياء، وسترحل عن الجبل، وسيأتي غيرك من الشوح أنفسهم، سيظل أمر الدين والدنيا على خير حال، ولن نفرط في حق من حقوق الله...¹⁴⁷

وفي نهاية الرواية، يقول شيخ القبيلة: "المطوع لن يعود إلى القبيلة، لقد ملت القبيلة السحر والدجل، وسنرسل أولادنا ليتعلموا الدين الحقيقي في أماكن أخرى..."¹⁴⁸

ولعل هذه الشخصية تصور شريحة من الناس الذين يدعون العلم الآن، وهم يمارسون الدجل والشعوذة، وقد ازداد عددهم في السنوات الأخيرة بشكل ملحوظ، فجاءت هذه الشخصية كما أراد لها الكيلاني تكشف زيف ادعاءاتهم وجهلهم وشعوذتهم، وهي تميزت تميزا بغضبا إلى نفس القارئ بعكس الشخصيات السابقة الذي ذكرناها هنا، وهذا يدل على براعة الكيلاني في نجاحه في رسم صورة مميزة لهذه الشخصية مع بغض القارئ لها ولأفعالها، إلا أنها كانت شخصية حية واقعية، أقنعت القارئ بحيويتها وواقعيتها.

2-2-3: شخصية الصيدلي السلبي أو الشرير:

الصيدلي " بيتر" والطبيبة " فاتسالا" كانا زميلان في العمال وكان بيتر يحب فاتسالا الطبيبة الهندية المتغربة عن أهلها وتعمل في دبي، وطلب منها الزواج ورفضته لأنها لا تحبه وتحب الطبيب الآخر الذي يحبه ويحترمه أهل القرية لحسن عمله وأخلاقه، لكن بيتر الشرير الذي لم يتقبل رفض فاتسالا أراد الانتقام منها، ذهب إلى رئيس الأطباء ويشتكى على فاتسالا بالكذب لكي يشوه شرفها هذا الصيدلي عديم الأخلاق، قال الطبيب " جاعني بيتر الصيدلي وقال مكفهر الوجه " إن "فاتسالا" تبغ نفسها للشيطان"، قلت وقد صدمتني كلماته:

¹⁴⁷ - نجيب الكيلاني، أميرة الجبل، ص 196.

¹⁴⁸ - المصدر نفسه، ص 210.

- " اعقل يا بيتر ".

- " إنها على علاقة مريبة ببعض شباب الإمارة".

رددت في انفعال:

- " لا أسمح لك بالتمادي في هذا الافتراء ".

- " أنت رئيسنا يا دكتور ويجب أن تكون على علم بما يجري".

- " كلام الناس... وخروجها المستمر في أوقات الفراغ ".

- " حسنا، دع هذا الأمر لي ".

قال وهو يهم بالخروج:

- " أخشى أن يكون الأمر قد بلغ رئاستنا في "دبي" وقد ينالك شيء من اللوم والعتاب،

بل قد يرمونك بالتقصير "

وفتح الباب فجأة واندفعت فاتسالا دون انتظار، كان وجهها قد اتخذ وجه نمرة شرسة، فتقدمت نحو بيتر وجذبتة من رباط عنقه وصرخت باكية:

- " أنت كاذب... إذا كنت على هذه الصورة من العفن والانحطاط فلم أتيت تطلب مني

الزواج... أمس؟

شحب وجه بيتر وتعلثم و عادت تقول:

- " إنني حرة، ولن يستطيع بيتر ولا غيره أن يستعيدني بالأعبية، إنه يعرف حساسية

هذه الأمور بالنسبة للمجتمع هنا، ويدرك أنني في حاجة ماسة إلى وظيفتي، ومن ثم

يلعب لعبته القذرة، كي يرغمني على طاعته..."¹⁴⁹

خرج بيتر فاستدعاه الطبيب وقسى عليه في النقد واللوم، وأفهمه إنني أدرك لعبته القذرة

جيذا وهدده بالعقاب الصارم وأن التساهل في مثل هذه الأمور قد يجلب علينا المتاعب الجمة

داخل المستشفى وخارجها، واعتذر على ما فعله.

¹⁴⁹ - نجيب الكيلاني، أميرة الجبل، ص 28، 29.ص.

إلا أن الأمر زاد سوء وانتشر الخبر الكاذب بأن الطبيب يعشق فاتسالا وأنها شيطانة، وكيف استطاعت إغواءه وأن الناطور يعلم بذلك ولا يفشي السر لأن الطبيب يدفع له ثمن سكوته، وعند سماع الطبيب هذا الإلهام الصريح فتنفض من الغيظ والخنق وقال:

- " ماذا أفعل ؟ كيف أتصرف؟

إن السكوت معناه الفضيحة والتشهير بي وبسمعتي، وبمستقبلي آمنت عند ذلك أن للطغيان صورة أخرى... .

كنت أظن أن الحاكم الظالم أو وزير الداخلية القاسي، أو ضابط الاستخبارات المتعجرف، كل هؤلاء هم الطغاة... الطغيان مرتبط في ذهني بجهاز الحكم المستبد... لك اليوم أرى طغيانا من نوع آخر... طغيان الناس... جمهرة الشعب... الشعب الذي لا يتأني ولا يتروى، ولا يكلف نفسه مؤونة البحث عن الحقيقة ولا يصدق أي كلام يقال له، ويطارد الشرفاء الأبرياء مثلي بشبح جريمة لم ارتكبتها، وأنا أعيش في كبت وضغط وحرمان... وكيف أقف وحدي متحديا هذا الزحف الرهيب الذي يريد أن يغتال شرفي وكبريائي؟¹⁵⁰

ففكر جيدا ما سيحل به ثم استدع فاتسالا وقال لها:

- " كنت تريدني التقل، وقد وافقت على تحقيق رغبتك "

فاندهشت فاتسالا ورفضت التقل فاضطر الطبيب أن يشرح لها الأمر بكل تفاصيله فقالت له: ¹⁵¹

- " فليقولوا ما شاءوا ... إن التهمة إما أن تكون باطلة أو صادقة، فليثبتوا دعواهم إن أرادوا، وإلا فلن نرضخ لتلك الحرب السخيفة الظالمة... إن رجلا مثقفا مثلك لا يصح أن يرضخ لهذه الافتراءات وإلا فلن تتجح طول حياتك فاعترض على كلامها بقوله يجب عليك أن تدركي طبيعة المجتمع الذي نعيش فيه... إن ما أثير حولنا ظلم بين ... لكن السخط العام ضدي يجب أن يعالج بطريقة مرنة.

¹⁵⁰ - نجيب الكيلاني، أميرة الجبل، ص 32.

¹⁵¹ - المصدر نفسه، ص 33.

ثم قالت:

- " أتدري من أثار هذه العاصفة؟ "

- " من؟ "

- " بيتر... هذا الملعون الشرير... هذا الناعم الملمس... الذي يتظاهر بالضعف والمسكنة، لهذا أكرهه."

واختتم الكيلاني بصمود الطيب الشجاع من خلال كلمات **فاتسالا** التي لم تمر عليه عبثاً، بل أثرت في نفسه وذكرياته القديمة المتعلقة بحياته السابقة وقرر مواجهة الزحف الظالم الذي اصطنع الأكاذيب الأسطورة مثيرة تنمو في خيال المراهقين والمحرومين والتعساء... كما تصدى للطغيان السياسي في بلده، يجب أن يتصدى الخداع الجماهير وافتراءات الأعداء.

2-3-1- علاقة البيئة بالشخصية

إن للبيئة تأثير كبيراً على بناء الشخصية الانسان وتفاعله مع الأحداث التي يمر بها في حياته وطريقة تعامله معها، وكذلك الحال في بناء الشخصيات الروائية فعلى الكاتب أن يأخذ بعين الاعتبار، عند كتابته للرواية ورسمه للشخصية- البيئة التي نشأ بهات بها تلك الشخصية.

وهذا الأمر نال من الكيلاني اهتماماً جيداً ف "أميرة الجيل" مع أنها بنت شيخ القبيلة إلا أنها لم تحظى بحرية رأيها والعيش في حرية بل ارغامها على الزواج من ابن عمها التي لا تحبه وهذا ما خلف لها أسباب صحية وكل هذا تطبيقاً لتقاليد القبيلة حتى تلقبها للعلاج في المستشفى كان الحاح وارغام الطبيب لأبيها بعد موافقته على زيد زيدون على أن يبعث أبنته إلى المستشفى إلا أنه رافقها هو وزوجها المرتقب خميس، كانت الرحلة بالنسبة لها ممتعة ولم يكن يشوهها سوى وجود خميس، الرجلان يسيران في المقدمة وهي تمضي خلفهما، وعلى وجهها برقع أسود، وتندمج أطرافه في غطاء الرأس والملابس السوداء، لبت الطبيب يستطيع أن يحتجزها في المستشفى بضعة أيام حتى تبعد عن جو الغلاف العائلي
الصاخب. 152

152- نجيب الكيلاني، اميرة الجبل، ص38.

ومن خلال هذا القيود التي تعايشته مريم جعلها تهرب من القبيلة ككل وتلجأ إلى الطبيب وتسافر معه إلى الخارج "لبنان وتتزوج به وكان بمثابة الحرية المطلقة التي كانت تعطش إليها مريم وتخلصها من الجن "قبيلة الشحوح".

ولكن مريم قد دفعت ثمن الحركة التي اختارتها بنفسها التي كانت مخالفة لتقاليد القبيلة، وعند عودتها إلى الجبل حلَّ بها الانتقام مباشرة وكان ذلك على يد ابن العم "خميس" الذي أحبها كثيراً حين قال السارد: "امتلاً الأفق بطلقات الرصاص... لكن صيحات ملتاحة تناهت إلى سماعنا... وهرونا... ، وكانت مريم ملقاة على الأرض تنزف دمائها وتقول في ألم يمزق القلوب..."

- " ألم أقل لك؟ كان يجب ألا تأتي هنا... " ¹⁵³

إلا أن الطبيب أيضاً دفع ثمن ذلك عن يد "عبد الله" الذي أحبه مريم فأطلق رصاصة هي الأخرى على كتف الطبيب.

رغم أنهما تزوجا على سنة الله ورسوله إلا أنه قوانين البيئة التي يعيشونها في الجبل ترغم على ارتكاب الأخطاء، هذا راجع إلى الجهل الذي يعم قبيلة الشحوح".

- وهذا يبين أهمية البيئة في التأثير على شخصية "مريم"، بغض النظر عن النهاية في الرواية، وتمام الزواج بعد تدخل الأب شيخ القبيلة "علي زيد زيدون" لكن يبقى هذا التأثير ملقياً بشخصية على جميع الشخصيات، إذا إن هذه الشخصيات كلها كانت تستقر في الجبل، والجبل له بيئته خاصة المعتمدة بشكل أساس على التقاليد والأعراف الموروثة التي يعتبر الخروج عنها أصعب من الخروج عن أحكام الدين وفي كثير من الأحيان، عائد للجهل المتفشي وسوء الفهم.

وهكذا فإن الشخصية في هذه الرواية تكتمل أمام أعيننا من جميع جوانبها، وتعطي مثلاً حياً واقعاً تجسد فيه القيم والأفكار الإسلامية التي يدعو إليها الكيلاني، وهي صادقة في تقلباتها، منطقية في سلوكياتها، بالنظر إلى الأسباب والأحداث التي لها أكبر الأثر في تلك الشخصية.

¹⁵³ - المصدر نفسه، ص 102.

2-4-1- المقدار الكمي الذي احتلته هذه الشخصية في الرواية:

هذه الشخصية اخذت كمّاً أُل من شخصية "مريم" وقد ذكرنا أن أهمية الشخصية لا تتبع من كمية المعلومات عنها، أو حجم المساحة التي تحتلها في بناء القصة، بقدر ما تتبع من الأثر الذي تتركه في نفس القارئ، وتفاعله معها، وشخصية "الطبيب" كان لها تأثير الأكبر على الأحداث ونموها، وصحيح أن مريم "كانت وثيقة الارتباط بالأحداث والشخصيات الأخرى، وقد احتلت المساحة الأوسع في هذه الرواية إلا أن "الطبيب" كان وراء كل هذه الأحداث وذلك بطريقة مباشرة، كزواجه من مريم على سنة الله ورسوله، أو بطريقة غير مباشرة، فهو "طبيب القبيلة كلها ويساعد الناس جميعاً".

والكيلاني استفاد من كلتا الشخصيتين في الدعوة لأفكاره وقيمه الإسلامية من دعوة للعمل والصدق والاخلاص والثبات والاهتمام بمشاكل الآخرين وخدمتهم والفاع عن المظلومين ونصرتهم والطريق الصحيحة للتغيير بالحكمة والموعظة الحسنة، واللياقة أو البراعة في التعامل مع أجهزة الحكومة التي لا زالت تتدرج في الحفاظ على مصالح الأمة وهي تكتم الأفواه وتقتل الكرامة في نفوس أفراد هذه الأمة، بما رآه الكيلاني مناسباً من وجهة نظره الخاصة.

وقد يكون في نهاية الرواية بزواج مريم والطبيب تأكيد على انتصار الإرادة الحرة للأخيار ولو بعد معاناة والتعب وانتصار للعلم على التقاليد التي لا تتبع من تعاليم الإسلام وذلك بقول أو خطاب أبيها "علي زيد زيدون" في خطبة الجمعة على أنه سأل كبار العلماء عن قضيته وكانت أجابته بقصة بربر في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وقوله أن (على المرأة البالغة الحرية في اختيار الزواج)

خاتمة

الكاتب يستعين بنماذج بشرية في شخصيات روايته، وهي تساعده وتسهل مهمته، فهي تكون جاهزة لا تحتاج إلى اسم واهتمام من الكاتب ليجعل منها حية واقعية، وإنما هي نماذج بشرية نراها في حياتنا اليومية بشكل مستمر، والكيلاني استقى كثيرا من شخصيات رواياته من واقعه وبيئته، ونرى أن شخصية نجيب الكيلاني أراد الوصول بها إلى إنسان قويم سوي ويتحلى بأخلاق رافعة تخدم الإنسانية ومنبع في ذلك الدين الإسلامي كما بدت لنا تأطر شخصية نجيب في هذه الرواية وتجلت في عناصر ما يلي:

- الأدب الإسلامي من خلال المفهوم والعلاقة بين الحاكم والمحكوم والمرأة وصلة الرحم وانتهيت بتأثر الكيلاني بهذا الأدب، بحكم أن الرواية المدروسة تنتمي لهذا الأدب.
- بناء الشخصية وأبعادها، وطرائف عرضها.
- الشخصية بين القدماء والمحدثين.
- تصنيف الشخصيات.
- أبعاد الشخصية في رواية أميرة الجبل، وهذا من خلال:
 - البعد الجسمي.
 - البعد الديني.
 - البعد الإنساني.
- الشخصية الإنسانية والنماذج البشرية.
- علاقة البيئة بالشخصية.

التعريف بـ: د. نجيب الكيلاني وتناولته من ناحيتين:

الأولى: مولده وأسرته ونشأته ودراسته وأهم الثقافات التي أثرت فيه وعلمه وحياته السياسية.

الثانية مراحل أدبه التي تدرج فيها ونتاجه الأدبي من شعر ورواية وقصص قصيرة ومسرحية، ودراساته الأدبية والفكرية والاجتماعية.

وأخيراً "كل شيء إذا ما تم نقصان"

فما قدمته سواء من الجانب النظري أو التطبيقي يبقى فيه بعض الهذات، ولهذا فإن هذا العمل يبقى قابل للإثراء والتوسيع والدراسة.

الملاحق

اسمه ونسبه:

هو نجيب بن عبد اللطيف بن إبراهيم الكيلاني. (154)

مولده:

ولد "نجيب الكيلاني" في الأول من شهر يونيو 1931م،⁽¹⁵⁵⁾ بقرية "شرشابة" التي تقع على بعد عشرين كيلومتراً من مدينة "طنطا" المعروفة، وهي قرية منعزلة، يعتمد سكانها على الزراعة.⁽¹⁵⁶⁾

طفولته:

يذكر لنا الأستاذ "نجيب الكيلاني" في مذكراته أنه بعد عام ونصف من ولادته، ولد له أخ اسمه "أمين" وكانت الأم مضطرة لأن تحملها معاً على كتفها وتعطي كل واحد ثدياً، فلم يكن في زماننا ألبانا صناعية، ومن الضروري أن تتم الرضاعة لعامين حسب السنة،⁽¹⁵⁷⁾ ويبدو من حديث "نجيب الكيلاني" أن عائلته كانت تحافظ على الدين واتباع سنة المصطفى.

دراسته:

التحق الأستاذ "نجيب الكيلاني" بمكتبة القرية وهو في الرابعة من عمره، ولمّا أصبح في السابعة التحق بالمدرسة الأولية ثم بمدرسة "الأمريكان"،⁽¹⁵⁸⁾ التي قال عنها: "كان الطريق إلى المدرسة الأمريكان خالياً تماماً من أية سيارات، وهو طريق مترب لكنه نظيف، والحقول خضراء على جانبه... ومعظم أساتذته الأمريكان كانوا من الإخوة المسيحيين بما فيهم الناظر... وكان أبرز هؤلاء على الاطلاق "أنجلي أفندي حنا"،⁽¹⁵⁹⁾ ليحصل على شهادة اتمام الدراسة الابتدائية، وكان ترتيبه الخامس على جميع طلبة منطقة وسط "دلتا".⁽¹⁶⁰⁾

154 - خنساء الجاجي: شخصيات رواية نجيب الكيلاني، رسالة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة بشار، قسم اللغة العربية، 2007 ص 11.

155 - <http://www.ruow.com>

156 - نجيب الكيلاني: مذكرات نجيب الكيلاني، دار الصحوة، د. ط، د. ت، ص 07.

157 - النرجع نفسه، ص 12.

158 - خنساء الجاجي: شخصيات نجيب الكيلاني، ص 20.

159 - نجيب الكيلاني: مذكرات نجيب الكيلاني، ص 12.

160 - خنساء الجاجي، شخصيات نجيب الكيلاني، ص 21.

ولم يكتف الطفل بالدراسة فقد كان يشارك أسرته في أعمال الحقل المعروفة، "كنت أشارك أسرتي في أعمال الحقل المعروفة، كنقل السماد البلدي (التراب) من الحظائر إلى الحقل"،⁽¹⁶¹⁾ ومن هنا تظهر شخصية نجيب الكيلاني المجتهدة منذ أن كان صغيراً.

لينتقل بعدها إلى المرحلة الثانوية، حيث يذكر لنا "نجيب الكيلاني" أن لا وجود للمرحلة الإعدادية في ذلك الوقت، يقول: "بدأ التفكير في الالتحاق بالمرحلة الثانوية، حيث لم يكن للمرحلة الإعدادية وجود في ذلك الوقت، وكانت دراسة المرحلة الثانوية خمس سنوات."⁽¹⁶²⁾

ولقد التحق "نجيب الكيلاني" "بكشك الثانوية" في مدينة "زفتى" وهي الأقرب لسكانه وقضى فيها شهرين فقط، ثم انتقل إلى مدرسة الزراعة في طنجا، لينجح فيها بتفوق.⁽¹⁶³⁾

لينتقل بعدها إلى المرحلة الجامعية وبعد تفوقه الملحوظ في المرحلة الثانوية أهّل له للالتحاق بكلية الطب "جامعة فؤاد الأول" عام 1951م، ليتخرج منها طبيباً عام 1960م وعمل طبيباً بمستشفى أم المصريين سنة 1962م، ثم انتقل للعمل في القرية بمسقط رأسه "شرشابة"⁽¹⁶⁴⁾ وهو دليل على وفاء الرجل لأهله وقرينته فرغم حصوله على درجة طبيب إلى أنه متواضعاً لم ينس جميل من أحسنوا إليه.

نجيب الكيلاني السياسي:

انخرط "نجيب الكيلاني" في سلك الإخوان المسلمين، كمت يصدّح بذلك في مذكراته: "انخرطت في سلك الإخوان المسلمين، في أقسى الأيام وأشدّها حلوكة وخطراً، ولم أعبأ بشيء، وصرحت بما آمنت به، وخلعت رداء الحزبية القديمة إلى الأبد"،⁽¹⁶⁵⁾ ولعلّ انتماء الكيلاني لهذه الجماعة في هذا الظرف، هو نزعة نحو التحدي وإثبات الوجود.

ثقافته:

¹⁶¹ - نجيب الكيلاني: مذكرات نجيب الكيلاني، ص 33.

¹⁶² - المرجع نفسه، ص 47.

¹⁶³ - خنساء الجاجي، شخصيات نجيب الكيلاني، ص 21.

¹⁶⁴ - المرجع نفسه، ص 28.

¹⁶⁵ - نجيب الكيلاني: مذكرات نجيب الكيلاني، ص 56.

تأثر الأستاذ "نجيب الكيلاني" ببعض الخطباء في المساجد والمحافل السياسية والدينية ويعطّل في قوله: "تسمع منهم موضوعات شائقة تربط الدين بالدنيا، وتمضي بنا في ركب الحيات ومشاكلها وهمومها، وتعالج القضايا الحساسة في المجتمع على ضوء التعاليم الأساسية والدينية، وترسم منهجاً للسلوك العام يشبع الروح والعقل"،⁽¹⁶⁶⁾ وهذه التعاليم واضحة في أعمال "نجيب الكيلاني" فالرجل يجد كل المعاملات الحياتية والمبادئ الدينية في رواياته، كما تأثر الرجل بمجموعة من الكتاب لعلّى أبرزهم:

"توفيق الحكيم" الذي يعتبر فكرة، و"العقاد" بعمق دراسته التحليلية ومعلوماته الوافية،⁽¹⁶⁷⁾ أمّا في مجال القصة القصيرة، وأدب الرحلات فيقول أنه تأثر "بمحمود تيمور"، الحريص على نقاء العبارة، وجمال الأسلوب، ويستفيد من التراث.⁽¹⁶⁸⁾

أمّا سياسياً فتأثر بالأستاذ "أحمد عبد الفتوح" و"أحمد حسين" و"سيد قطب" و"فؤاد سراج" و"صالح عشاوي" و"محمد الغزالي" وهم كتاب عرّفوا بالحماسة والعاطفة الوطنية المشتعلة.⁽¹⁶⁹⁾

نجيب الكيلاني والسجن:

لقد طالت معاناة "نجيب الكيلاني" في السجون بداية من سجن "قرة ميدان" وهو أول سجن مدني يصل إليه الرجل،⁽¹⁷⁰⁾ وفي أواخر عام 1955م رحل إلى سجن "أسيوط"، ثم سجن "القناطر الخيرية"، وقد رحل إليه عام 1957، كما أُدخل أيضاً إلى سجن "القاهرة" عم 1958م، وبقي فيه إلى أن أُفرج عنه شهر نوفمبر من نفس السنة،⁽¹⁷¹⁾ ويتحدث عن معاناته في هذه السجون قائلاً: "الرعاية الصحية في السجون رديئة، ولست أعرف سبباً وجيهاً لذلك، فإذا كان الهدف من وراء الإهمال الصحي هو مزيد من تعذيب السجن أو

166 - المرجع نفسه، ص 71.

167 - المرجع نفسه، ص 73.

168 - المرجع نفسه، ص 74.

169 - المرجع السابق، ص 75.

170 - المرجع نفسه، ص 191.

171 - خنساء الجاجي، شخصيات نجيب الكيلاني، ص 34.

تأديبه، فهو امر في غاية الغرابة، لأن عقوبة الحجز والطعام الرديء، والحرمان الجنسي والشرعي، والعمل المرهق، والإذلال اليومي وغير ذلك يكفي".⁽¹⁷²⁾

الانتقال إلى دبي:

انتقل الرجل إلى "دبي" سنة 1968م للعمل كطبيب في "الإمارات العربية المتحدة"، وتقلد هناك مناصب إدارية مختلفة كان آخرها عمله مديراً للتقافة الصحية بوزارة الصحة "بالإمارات"، ثم عضو في اللجان الفية للأمانة الصحية لدول الخليج، ولما أُحيل إلى المعاش سنة 1992م، عاد إلى مصر بعد غربة دامت ثلاث وعشرون سنة.⁽¹⁷³⁾

وفاته:

يذكر الدكتور "محمد موسى الشريف" كيف كانت وفاة الكيلاني فيقول: أُصيب "نجيب الكيلاني" بمرض خطير في آخر حياته وأدخل المستشفى التخصصي بالرياض على حساب خادم الحرمين الشريفين "الملك فهد"، وقد قضى أواخر أيامه صلباً محتسباً يصارع المرض حتى وفاته في الخامس من شهر شوال 1415هـ ودفن "بمصر" في مارس 1995م.⁽¹⁷⁴⁾

بعض أعماله:

أ - الروايات:

- الطريق الطويل: وهي أول رواية له تقدم بها مشاركاً في مسابقة لوزارة التربية والتعليم عام 1957م.⁽¹⁷⁵⁾

- طي الظلام - عذراء القرية - طلّاع الفجر - ليل العبيد - رأس الشيطان - النداء الخالد - الربيع العاصف - الذين يحترقون الكأس الفارغة الرّيايات السوداء - ليالي تركستان - عمالقة الشمال - عذراء جاكرتا - قاتل حمزة - رجال وذئاب - اعترافات عبد المتجلي

¹⁷² - نجيب الكيلاني: مذكرات نجيب الكيلاني، ص 221.

¹⁷³ - خنساء الجاجي، شخصيات نجيب الكيلاني، ص 35.

¹⁷⁴ - خنساء الجاجي، شخصيات نجيب الكيلاني، ص 36.

¹⁷⁵ - المرجع نفسه، ص 45.

ب - الشعر:

كان بدايته مع الشعر وكان عمره سبع عشر سنة وكان أول ديوان له "نحو العلاء". (176)

كما كان له ديوان بعنوان "أغاني الغرباء" يحتوي على اثنين وعشرون قصيدة، وقد كتبها وهو في السجن. (177)

ت - المسرح:

- حسناء بابل - على أسوار دمشق، ويقول عن الأولى: "هي مسرحية كنت أعتز بها اعتزاز ولكنها اختفت في طوفان صدام المساجين". (178)

ث - القصص القصيرة:

دموع الأمير - عند الرحيل - العالم الضيق - حكايات طبيب - الكابوس - فارس هوزان.

ج - دراسات:

- إقبال الشاعر الثائر: كتب سنة 1957م. (179)
- المجتمع المريطي نال عليها جائزة وزارة التربية والتعليم عام 1958م. (180)
- وله دراسات نذكر منها: الطريق إلى اتحاد إسلامي، الإسلامية والمذاهب الأدبية، أعداء الإسلامية، تحت راية الإسلام، رحلتي مع الأدب الإسلامي، مدخل إلى الأدب الإسلامي، لمحات من حياتي وهو عبارة عن سيرة ذاتية. (181)

176 - المرجع نفسه، ص 47.

177 - المرجع نفسه، ص 44.

178 - خنساء الجاجي، شخصيات نجيب الكيلاني، ص 55.

179 - المرجع نفسه، ص 56.

180 - المرجع نفسه، ص 58.

181 - المرجع نفسه، ص 87.

- بين السجن ومقاومة الفساد والترحال الاطلاع الواسع تكونت شخصية نجيب الكيلاني حتّى أصبح من رواد الرّواية الإسلامية وصاحب ذات الصبغة التعليمية.

أميرة الجبل

هذه الرواية هي رواية نفسية إنسانية تروي لنا قصة لشخصية دينية تتجسد في الطبيب الشاب، الذي هاجر من بلده لأمر سياسية ، رغم معانته من وحدته وغربته، مع ذلك فنراه عفيفا محافظا على دينه وأخلاقه، لم يرتكب إثما، ولم يضعف في وقت كان الزلل والخطأ من كل جانب حوله.

يبدأ صاحب الرواية بالتعرف بالطبيب على فتاة من قبيلة الشحوح، التي سيجبرها والدها على الزواج من ابن عمها (خميس) إتباعا لتقاليد القبيلة، هي لا تحبه تحب شاب آخر من قبيلتها يدعى عبد الله وهذا ماجعلها تتعرض إلى متاعب صحية بسبب أزمته النفسية المتعلقة لذلك الزواج.

فالتقى الطبيب بها في سفح الجبل لمعالجتها وطلب من والدها أن يحضرها للمستشفى لإتمام المعالجة ، فوافق أباهما على ذلك، لكن ابن عمها لم يوافق، فقال: "إنها تأخذ العلاج وتتصرف، ونومها في المستشفى عار"، فقالت بذكاء " نترك الأمر بين يدي الطبيب، هو صاحب الشأن رد عليها الطبيب" يجب أن توضع للمراقبة وفحص لمدة أسبوع أو أسبوعين، ولم يذهب ابن عمها للجبل وبدأ يحرصها على باب المشفى، وهذا ما زاد من حالتها إلا أنها طلبت من الطبيب طرده، فطرده وبدأت تأخذ العلاج بعيدة عن ابن عمها المتعجرف والجبل إلا أنها تحسنت، وعند رجوعها إلى الجبل تقدم إليها المطوع حسن بن محمد المشعوذ الذي يكبرها 40 عام إلى خطبتها وأمر والدها أن تقبل بابن عمها رغما أنفها.

وهذا ما جعلها تهرب من الجبل إلى الطبيب فكان مسافرا إلى دبي، بعد إصرارها وإلحاحها أن تذهب معه ، فرفض ذلك ثم تطلبت منه النقود وتلتحق به إلى دبي، وأهل الجبل يبحثون عنها في كل اتجاه ولم يعثروا لها على أثر، اندلعت في جبل الشحوح فتنة ضارية، وانطلقت الشائعات " فمن قائل بأن مريم قد أخفاها عبد الله بتدبير محكم، ومن زعم أن خميس ابن عمها قد قضى عليها ، وادعى البعض الآخر أن المطوع حسن بن محمد قد سحر لها فاخطفتها العفاريت - ولم يسفر البحث شيء بقيمة- ووقف أبوها شامخا" إن ابنتي يجب تظهر، هناك أيدي خبيثة لعبت في الخفاء وليس الأمر فتاة اختطفت ولكنهم

شرفوا القبيلة وكرامة الجبل كله" وقالت العجوز" ابحثوا عن احسن بن محمد.... هؤلاء المطاوعة يستخدمون الجان، هذا الساحر إن لم يكن قد فعل فعلته فلا شك أن يعرف طريقها...".

ذهبت مريم مع الطبيب إلى دبي والفرحة تغمرها كونها تخلصت من السجن الذي كانت فيه، و طلبت من الطبيب أن تكون خادمتها، إلا أن الطبيب وصله قرار بأن يسافر إلى لبنان فكان كثير الحيرة من مريم كيف يخبرها وكيف يرجعها إلى الجبل، ولكن عند إخبارها فسعدت بالخبر وذهبت تجري وأحضرت جواز سفرها ، فاندھش بذلك وبدأت ترجوه بالذهاب معه إلى لبنان، وتصرت على الطبيب بأن يوافق، ووافق على ذلك وأخذ الإجراءات، وذهبوا إلى لبنان، وفي اليوم الثاني من وصولهم إلى لبنان أنهى إجراءات الزواج من مريم على سنة الله ورسوله، وقرر أن يرسل نسخة من الوثيقة الرسمية لعقد الزواج مع خطابا لأبيها¹⁸².

وعند تلقي والدها العقد فكان لم يعرف أن يفرح أو يحزن وأخذ العقد إلى الحسن بن محمد وأخبره بأن مريم فازت بالطبيب وتزوجها، فصاح حسن ورفض ذلك وقال " الشرف لا ينظفه إلا الدم".

فذهب أباه إلى أحد العلماء في رأس الخيمة ، وحكى له قضيته فأخبره بقصة بريرة في عهد الرسول صل الله عليه وسلم، وقال العالم أن على المرأة البالغة لها الحق الاختيار الزوج .

فقرر أبيها علي زيد زيدون استقبال ابنته مريم وزوجها هنا في الجبل وقال " سأقيم الأفرح أسبوع كاملا...وسأدعو القاضي والداني ، فلم يسبق أن تزوجت امرأة من الشحوح طيبيا عربيا...هذا فخر القبيلة...وأن سيد القبيلة...وأن راضي عم تم بكل ملابساتها...ولن يستطيع كائن ما كان أن يقنعني بسفك دم مريم...".¹⁸³

بدأ النبا ينتشر في الحي، وفي يوم الجمعة في المسجد ، كان حسن بن محمد أتى بكراس صغير غير عادته ودرس الجمعة كان عن الشرف، والزمان، والفساد، والظواهر الخطيرة التي انتشرت في كل مكان... وعن الجبل المتمرد وعن الذين يعصوا والديهم، ثم

¹⁸² -نجيب الكيلاني، أميرة الجبل، ص136.

¹⁸³ -المصدر السابق ، ص136.

قال صارخاً "إنني أحذر شيخ القبيلة من بلاء متوقع، ساد الهرج والمرج في المسجد ثم وقف علي زيد زيدون في وسط المسجد بدون فوضى وروى عليهم قصة بريرة، ساد الصمت من جديد.¹⁸⁴

فرجعت مريم إلى الجبل فاستقبلها أبيها بابتسامة العريضة رغم شحوب وجهه، ونحر الذبائح وانطلقت الأغاني الجميلة العريقة وامتلاً الأفق بالرصاص إلا أن سمعوا صيحات فكان مريم ملقاة على الأرض تنزف دمها، وكان خميس يحمل مسدس، إلا أن سمعوا طلقة أخرى، كان الطبيب مصاب وعبد الله يقربوا ويده مسدس صغير.

وفي الأخير أختتم برجوع مريم والطبيب إلى لبنان مع توديع والدها لهما وتوصيته عليها، وقال له الطبيب سنعود ومعنا طفل صغير، وتتهد أباهما في ارتياح... ولقد عاد الهدوء إلى الجبل وصارت مريم حكاية حلوة؟ يرويها النسوة في ليالي القمرية كملحمة من أشهى وأمتع ملامح الجبل حيث تنتشر قبائل الشوح.¹⁸⁵

¹⁸⁴-المصدر نفسه، ص146
¹⁸⁵-المصدر نفسه، ص158.

قائمة

المصادر والمراجع

○ القرآن الكريم، كتاب الله

أ- المصادر:

نجيب الكيلاني: أميرة الجبل، دار الحزم، بيروت، ط1، 1998م.

ب- المراجع:

01- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، تع: عبد السلام محمد

هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج2.

02- ألان روب الانروبييه: نحو رواية جديدة، ت ر ، مصطفى ابراهيم مصطفى، دار

المعارف بمصر، القاهرة، 1990.

03- بحراوي حسن: بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990.

04- بريغش محمد حسن: دراسات في القصة الإسلامية المعاصرة، مؤسسة الرسالة،

بيروت، ط1، 1994م.

05- التونجي محمد: المعجم المفصل في الأدب، ج2، دار الكتب العلمية، ط2، 1999.

06- جميلة قيسمون: الشخصية في القصة، مجلة العلوم الانسانية، العدد، 13، جوان

2000.

07- جهاد عطا نعيمة: في مشكلات السرد (قراءة في عدد من النصوص والتجارب

الروائية العربية، والعربية السورية المعاصرة)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،

2001.

08- جير الدينس: تر، السيد إمام، ميربين للنشر والمعلومات، القاهرة، ط1، 2003.

09- حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2009.

10- حميد الحمداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي،

بيروت، ط1، 1991.

11- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: عبد الحميد هندامي، دار الكتب العلمية،

بيروت، لبنان، ج2، ط1، 2003.

- 12- **خنساء الجاجي**: شخصيات روايات د. نجيب الكيلاني، دراسة " وصفية تحليلية"، قسم اللغة العربية -بشار - 2007.
- 13- **السعافين ابراهيم**: تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام، دار الرشيد للنشر، العراق، (ب، ط)، 1980م.
- 14- **سعيد علوش**: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (عرض وتقديم وترجمة) دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1985.
- 15- **سليمان حسين**: الطريق إلى النص (مقالات في الرواية العربية)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1997.
- 16- **سمر روجي الفيصل**: بناء الرواية العربية السورية (1980، 1990) ، دراسة نقدية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1995.
- 17- **شريط أحمد شريط**: تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، دار القصة للنشر، الجزائر، (ب، ط)، (ب، ت).
- 18- **صبري حافظ**: متغيرات الواقع العربي، الرواية العربية، ممكنات السرد، أبحاث وتعقيبات ومناقشات الندوة التي أقامها المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب ضمن فعاليات مهرجان القرين الثقافي الحادي عشر، الكويت، 2004.
- 19- **صبيحة عودة زعرب**: غسدّان كنفاني، (جماليات السرد في الخطاب الروائي)، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2006.
- 20- **ضيف شوقي**: النقد الأدبي، دار المعارف، القاهرة، ط6، (ب، ت).
- 21- **عبد المالك مرتاض**: تحليل الخطاب السردى، لمعالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية رفاق المدق، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، (د، ط)، (د، ت).
- 22- **عدنان علي الشريم**: الأدب في الرواية العربية المعاصرة، عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2008.

- 23- غنيمي هلال: محمد، النقد الأدبي الحديث، دار العودة، بيروت، (ب، ط)، (ب، ت).
- 24- لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2002.
- 25- مجمّع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004.
- 26- محمد بوعزة: تحليل النص السردي، (تقنيات ومفاهيم) (ب، ط)
- 27- محمد صابر عبيد: سوسن البياتي، جماليات التشكيل الروائي (دراسة في الملحمة الروائية، مدارات الشرق)، دار الحوار السورية، ط1، 2008.
- 28- محمد عزام: تحليل الخطاب الأدبي، على ضوء المناهج النقدية الحديثة (دراسة في نقد النقد)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003.
- 29- محمد علي سلامة: الشخصية الثانوية ودورها في المعمار الروائي عند نجيب محفوظ، (ب، ط)، (ب، ت)،
- 30- محمد علي سلامة: الشخصية الثانوية ودورها في المعمار الروائي عند نجيب محفوظ، (ب، ط) (ب، ت).
- 31- ناهضة ستار: بنية السرد في القصص الصوفي، (المكونات، الوظائف، التقنيات)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003.
- 32- نبيل راغب: موسوعة الابداع الأدبي، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، ط1، 1996.
- 33- نبيلة زويش: تحليل الخطاب السردي في ضوء المنهج السينمائي، (دراسة تطبيقية لقصة طوفان في جلامش)، دار الريحانة للكتاب، الجزائر، (ب، ت).
- 34- نجم محمد: فن القصة، دار الثقافة، بيروت، (ب، ط)، (ب، ت).
- 35- نجيب الكيلاني: الطريق الطويل، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1988.
- 36- نجيب الكيلاني: رحلتي مع الأدب الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1985.

- 37- نجيب الكيلاني: عمالقة الشمال، بيروت، مطبعة حارة الجمل، المتفرعة ميدان السيدة زينب، القاهرة، ط2، 2005.
- 38- نجيب الكيلاني: لمحات من حياتي، مؤسسة الرسالة، ج5، بيروت، ط1، 1990.
- 39- نجيب الكيلاني: ملكة العنب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2000.
- 40- نجيب الكيلاني: نحو مسرح الاسلامي، دار ابن الحزم، ط1. 1990.
- 41- نجيب الكيلاني: أعداء الاسلامية، دار الانصار ودار الاتحاد العربي، مصر(ب، ط)، (ب، ت).
- 42- نصر الدين محمد: الشخصية في العمل الروائي، مجلة فيصل، العدد 37، دار فيصل الثقافية للطباعة العربية، السعودية، ماي- جوان 1980.

<http://www.ruow.com>

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

اهداء	
أ	مقدمة
مدخل مفاهيمي: الأدب الاسلامي	
06	- ولأ: الأدب الاسلامي
07	- ثانياً: العلاقة بين الحاكم والمحكوم
08	- ثالثاً: المرأة
10	- إبعاً: صلة الرحم
11	- خامساً: المشكال الفردية أو الجماعية
11	- سادساً: الحضارة الاسلامية
12	- سابعا: الداعية الاسلامي
13	- أسماء من تأثر بهم الكيلاني من الأدباء
الفصل الأول: بناء الشخصية في الرواية	
17	1-1- مفهوم الشخصية
17	1-1-1- لغة
18	1-1-2- صطلاحاً
22	1-1-3- الشخصية عند علماء النفس
22	1-1-4- الشخصية عند علماء الاجتماع
22	1-2- أبعاد الشخصية
23	1-2-1- البعد الجسمي (الخارجي)
25	1-2-2- البعد النفسي (الداخلي)
25	1-3- طرائق عرض الشخصيات
26	1-3-1- الطريقة غير المباشرة (التقريرية)
27	1-3-2- الطريقة غير المباشرة (التصويرية)
28	1-4- الشخصية بين القدماء والمحدثين
32	1-4-1- فلاد ديمير بروب

32	1-4-2- رولان بارت
33	1-4-3- عبد المالك مرتاض
33	1-4-4- غريماس
34	1-5- تصنيف الشخصية
35	1-5-1- لشخصية المدورة (ذامية)
37	1-5-2- لشخصية المسطحة (البسيطة)
38	1-5-3- خصياتالرئيسية
40	1-5-4- الشخصية الثانوية
الفصل الثاني: الشخصية الدينية في رواية أميرة الجبل	
43	2-1- أبعاد الشخصية الدينية في رواية أميرة الجبل
43	2-1-1- البعد الجسمي
44	2-1-2- البعد الانساني
50	2-1-3- البعد الديني
54	2-1-4- البعد الاجتماعي
55	2-2- الشخصية الانسانية والنماذج البشرية
57	2-2-1- شخصية الخير
57	2-2-1-1- شخصية الطبيب الايجابي أو الخير
60	2-2-2- شخصية الأب
61	2-2-2- الشخصيات الشريرة
62	2-2-1- شخصية المطوع حسن بن محمد
66	2-2-2- شخصية الصيدلي السلبي أو الشرير
69	2-3- علاقة البيئة بالشخصية
71	2-4- المقدار الكمي الذي احتلته هذه الشخصية في الرواية
74	خاتمة
78	ملحق (01)
83	ملحق (02)

87	قائمة المصادر والمراجع
92	فهرس الموضوعات

ملخص:

يعد الأدب الإسلامي من الآداب التي سعت الغوص في صراع الإنسان مع الحياة ومعالجة متطلباته وتفسير همومه وأماله، محاولاً إبراز مجموعة من القيم التي تمثل الواجهة الحقيقية للإنسان، والسعي من وراء ذلك هو تقويم سلوكه وفقاً للدين الإسلامي،

ولقد اخترت **نجيب الكيلاني** لما يحمل هذا الرجل من الرسائل التعليمية وقيم أخلاقية في مجموعة كتاباته، منطلقاً من تكوينه الإسلامي أما عن اختيار رواية **أميرة الجبل** يعود إلى سببين اثنين:

أولهما: تجسيد الكاتب من خلال هذه الرواية مجموعة كبيرة من القيم (الحرية، الخير، الأخلاق، الحق).

وثانيهما: توزيع رواياته على مناطق متعددة من العالم (كأسيا، إفريقيا)، مما تؤكد نزعة الكاتب العالمية.

الكلمات المفتاحية:

بناء - رواية - شخصية - أميرة الجبل - نجيب الكيلاني

Résumé :

La littérature islamique est considérée parmi les littératures qui servent à atteindre les besoins de l'homme et résoudre ses problèmes afin d'obtenir certaines valeurs qui montrent la réalité de l'homme pour évaluer ses comportements et sa conduite selon la religion islamique.

D'après les hautes valeurs, la bonne conduite et les messages éducatifs religieux dans ses œuvres j'ai choisis comme exemple **Nabjib El Kilani**.

Principalement j'ai choisis **la princesse de la montagne** pour deux raisons :

- 1- Dont Il a parlé de la liberté, du bien, les morales et la vérité.
- 2- à cause de la distribution de ses romans dans plusieurs régions du monde (l'Afrique- l'Asie) ce qui confirme la tendance mondiale de l'écrivain.

Les mots clés: Construction , roman , personnalité , princesse de la montagne, Nadjib El Kilani.